اعذريني ومخاوف أخرى

مواهب (١)

اعذريني ومخاوف أخرى / قصص

مواهب

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تدقيق لغوي :

حسام مصطفى إبراهيم

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٨٦٠

I.S.B.N:٩٧٨-٩٧٧٦٢٩٧-٧٩-١

اعذريني

ومخاوف أخرى

قصص

مواهب

(١)

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



شكر وتعريف

بفكرة بسيطة هي أن نجمع مواهبنا سـويا لننـشر معـا، وبالتعاون مع دار اكتب أتى هذا الكتاب.

ويجب أن نوجه الشكر لمن ساعدونا وأولهم أسـتاذ يحـيى هاشم مدير الدار والكاتب محمد إبراهيم محـروس والقاصـة السعودية زينب البحراني والكاتب المغربي عبد العزيز أبو الميراث والكاتب الساخر عمرو عز الدين والقاص أحمد رشاد والروائي أحمد خشبة.

كل هؤلاء منحونا مساعدتهم وتشجيعهم لفكرتنا البسيطة: لنكتب سويا وننشر معا. الفكرة التي نجحت مع (نقطة ومـن أول السطر) فأكملنا من حيث انتـهوا بمجموعـة قصـصية متخصصة في أدب الرعب، وبإذن الله نتبعها بتشجيعكم بأعداد أخرى.

مجموعة مواهب



اعذريني....



- لقد قمت بعمل رائع حقا يا (خالد)..!

قالها (مدحت) في رصانة وهو ينفث دخان سيجاره ببطء ويجول ببصره في أنحاء المعرض ... كدت أرد عليه لولا أن باغتتني ضربة قوية على ظهري، تبعتها ضحكة رنانة ميزتها على الفور فالتفت أصيح في مرح:

- (محسن)..! لازلت عنيفا أخرق كعهدي بك...

- أما أنت فلست أبدا كعهدي بك...ما هذا الإبداع يا فتى؟! منذ متى؟

- منذ متى؟!! لقد كنت مبدعا طوال حياتي!

لكزني في جنبي وهو يقول في خبث:

- (خالد) .. نحن أصدقاء منذ عشر سنوات وتخرجنا في نفس الدفعة.. لا تنكر أنك تطورت للغاية..فما هو السر؟

- لا أسرار هناك...ثم إن بعض هذه اللوحات قديم جدا..

- وماذا إذن كنت تخفي كل هذا الفن؟!

غمزت بعيني و أنا أقول:

- كنت أنتظر اللحظة المناسبة فحسب...حتى تصبح الفرقعة أعلى ما يمكن...

ابتسم (مدحت) وهو يقول في هدوء كعادته:

- لوحاتك هذه المرة تنم عن موهبة لا شك بها...

قالها والتفت إلى (محسن) وضحك قائلا:

- لقد وجدنا منافسا قويا يا رجل...لن تباع لوحاتنا بعد الآن!

- انفجر ثلاثتنا في الضحك حتى أن كل رواد المكان تقريبا التفتوا لنا.

فأطبقنا شفاهنا في خجل وقال (محسن) بصوت خفيض وهو يحاول كبح جماح ضحكته:

- يجب أن نخرس قليلا وإلا سنفضحك أمام هؤلاء...يبدون من علية القوم...لقد اخترت مكانا راقيا للغاية أيها الخبيث..لا ريب أنه كلفك ثروة..!

- صحيح يا (خالد)... كيف استطعت الحصول على مثل هذا المعرض وتجهيزه و..و ...؟ لا تؤاخذني ولكنك كنت تقول أنك في ضائقة مالية!

ترددت لحظة قبل أن أقول:

- الفضل لله سبحانه وتعالى ثم لـ(منار)...

بدا الحرج على وجهيهما و أسرع (مدحت) يقول:

- لم... لم نقصد أن نذكرك...

- تذكرني؟! أنا لا أنساها أبدا يا (مدحت) ... لقد قامت هي بكل ما يلزم قبل وفاتها ... حتى إنها أهدتني اللوحات والألوان والفرش ... وماتت قبل أن ... أن ترى نتيجة ما قامت به .. قبل حتى أن تمنحني الفرصة لأن أشكرها أو أن أعبر لها عن امتناني ...لقد كانت حقا نعم الزوجة ... والحبيبة و ....

صمت لحظات ألتقط فيها أنفاسي و أجاهد كي لا تنحدر دموعي وتعلق بصري بلوحة بالحجم الطبيعي في صدر المكان لفتاة جذابة ذات شعر فاحم و ابتسامة ودود و أنا أقول:

- كنت أتمنى أن تكون معي الآن لتشاركني نجاحي الذي كانت هي السبب فيه ... كان أقل ما يمكنني فعله أن أضعها بين اللوحات وأن أجعل المعرض يقام على شرفها..

تبادل (محسن) و (مدحت) نظرات حيرى ... خجلى ... وران علينا صمت رهيب...ثم رحنا نتبادل كلمات مرتبكة مهشمة قبل أن ينفض جمعنا في هدوء...

***

عدت إلى منزلي الفارغ بخطوات متثاقلة بطيئة وقد اكتنفتني مشاعر متداخلة ... لا يقابل عيني سوى الفراغ ولا يقابل أذني سوى السكون..

أثاث هامد وتحف ميتة ولوحات صامتة ... ولولا صوت المذياع الذي أتركه مفتوحا دائما لحسبتني دخلت مقبرة لا بيتا..

جلست أمام لوحة ناقصة وهممت أن أكملها لولا أن شعرت ببعض من التعب ... وقلت لنفسي: لا بأس.. سأكملها فيما بعد ...

ألقيت بنفسي على الفراش وما لبثت أن رحت في نوم عميق....

***

كانت ليلة كأسوأ ما يكون ... بدأت بسيل لا ينقطع من الكوابيس الغريبة وانتهت برنين الهاتف وهو يخترق رأسي بلا

رحمة فنهضت مذعورا غارقا في العرق و التقطه بلهفة .. وما إن وضعته على أذني حتى جاءني صوت (محسن) يصيح كعادته:

– ناموسيتك كحلي...! نائم في العسل وتاركنا نحن نواجه مصائبك..!!

– أية مصائب يا (محسن)؟...عم تتحدث؟!!

– تعال بسرعة للمعرض لترى بنفسك ..!

***

عندما وصلت إلى المعرض هالني ما رأيت...

مياه ... الكثير منها... تعدت المدخل ودرجاته الأمامية حتى وصلت إلى الشارع فأغرقته تماما...

يا إلهي..!! ما هذا؟...من أين أتى كل هذا؟!!

اندفعت إلى صالة العرض العائمة في سرعة كدت أنزلق ساقطا على وجهي بسببها...

كان المكان مزدحما اليوم كما كان بالأمس ولكنه اليوم ازدحم برجال الشرطة وحشد من السادة الغاضبين لم أميز بينهم سوى (محسن) الذي اندفعت نحوه سائلا في لهفة:

– ماذا حدث؟ ما كل هذه المياه؟!

- أتسألني أنا؟! المفروض أن تجيب أنت عن هذا السؤال..!

- أنا؟ من قال لك إنني أملك الإجابة...؟

- و من يملكها إذن يا أستاذ (خالد)؟

جاءتني هذه العبارة من خلفي بصوت صارم فاستدرت لأجد ضابطا له شارب صارم كصوته .. وقد عقد حاجبيه الكثين فبدا صورة مجسدة للصرامة ... هذا وجه يصلح جدا لأن يوضع في القاموس وتكتب تحته كلمة صارم...

- يا سيادة الضابط لقد كنت نائما في منزلي عندما حدث ما حدث .. فكيف لي أن أعرف؟

- وهل لديك ما يثبت أنك كنت كذلك؟

أصبحنا وأصبح الملك لله...! واضح أن زوجته عكرت مزاجه ع الصبح...وواضح أيضا أنني كبش الفداء لهذا التعكير... لذا قررت أن أكون سخيفا بدوري فقلت في تحدٍ:

- هل لاحظت سيادتك هنا أنني أنا المتضرر؟ لماذا تعاملني وكأنني الجاني في حين أنني المجني عليه؟

- لست متضررا أكثر من كونك ضارا كما تظن يا أستاذ (خالد)...

قالها و أشار بيده إلى السادة الغاضبين ثم أضاف:

– إليك المتضررون..سكان المنازل وأصحاب العقارات المجاورة... والبلدية ....و...

و هنا اندفع أحد هؤلاء و صاح بي فجأة:

– لقد باشت حوائطنا و فسدت بضاعتنا...!!!

تراجعت في ذهول وأنا أقول:

– لماذا؟..أعني كيف؟؟...كيف أفسدت الحوائط واخترقتها...؟ إنها مجرد مياه ولا تحتوي على أي نوع من الأحماض..!!

لمحت ركن شفتي الضابط تلتوي في تشفٍ وهو يقول:

– عليك أن تثبت هذا أيضا...

وهنا لم تتحمل أعصابي كل هذا الضغط فصرخت في وجه الرجل فجأة قائلا:

– لماذا أثبت؟ و لمن أثبت؟ أخبرتك من قبل إنني كنت أغط في نومي عندما حدث ذلك .. ثم إنني متضرر أيضا وبشدة ... انظر ما أصاب معرضي ولوحاتي..لقد فسدت تماما..!!

لمعت عينا الضابط وهو يقول:

- أجل..هذا هو مربط الفرس.. لقد أكد لي حارس المكان أنك أتيت هنا في الليلة الماضية..وأراهن أنــك أمنــت علــى لوحاتك هذه...!

هل فهمت الآن ما أقصد؟

***

طبعا لا داعي لأن أصف لك كل التعقيدات التي حــدثت بعدها...سين و جيم..و أقسم بالله أنني لم آتِ ليلا يا حــضرة الضابط..لماذا تكذب يا (حازم)؟ .. كنت في بيتي .. البــواب كان نائما فلم يرني .... ستدفع تعويضا ..و..و..

***

أشعر بشعور غريب...كأن هناك من يراقبني...

***

أخيرا عدت إلى المترل وأنا أفهم تماما إحــساس الــسجادة عندما تستفرد بها امرأة قوية لتنفضها ...

يا إلهي ... لشد ما أشتاق إلى ســريري الآن ... رحــت لأشرب ... لا ريب أنني تركت باب الثلاجــة مفتوحــا ... التقطت طبقا من الفشار كان على الطاولة لا أدري إن كــان مقلوبا أم لا... وصلت إلى سريري فارتميت عليه .. ما هــذا؟

الطبق خال .. هل أتيت على ما به في الطريق أم أنـــني قلبتـــه بأكمله؟ ربما كان فارغا منذ البداية...فارغ؟ ما هو الفـــارغ؟ الطبق؟ أنا لم أت به من المطبخ أصلا..لا بأس ..(منار) ستنظف هذه الفوضى في الصباح ... ما هذا الهراء؟ (منار) لن تنظـــف أي شيء لأنها لا تفعل أي شيء ... (أم إبراهيم) هـــي مـــن تنظف ... لا لا ...(منار) لن تفعل أي شيء لأنهـــا.. لأنهـــا ماتت.. ماتت؟ يا إلهي .. زوجتي الحبيبة ... أنا آسف لأنـــني سكبت الفشار على السجاد ... آسف لأن لوحتك في المعرض فسدت ... (منااار) .. أنا آسف..اعذريني..!!!

***

للمرة الثانية يخترق الهاتف خلايا مخـــي ... حـــرام .. لم لا يتركونني أنعم بالنوم؟ ألا يكفي أنني أقـــضي ليلـــي كلـــه في الكوابيس؟!

وضعت السماعة على أذني متوقعا كارثـــة لكـــنني –ولله الحمد– سمعت صوت (مدحت) الرخيم يقول في هدوء:

– صباح الخير..

– ماذا تريد؟

– الناس ترد التحية أولا...!!

- أما أنا فلا .. أخبرني ماذا تريد..

- أريدك في موضوع مهم..

- بخصوص ماذا؟

- المعرض...

- لا تذكرني به..لقد غرق و انتهى أمره...

- لا لم ينته...لازالت هناك لوحات صالحة ... لننقذ ما يمكن إنقاذه..

- ننقذ ماذا..؟.. وممن؟

- (محسن)...

- من؟؟!

- (محسن)...هو وراء كل ذلك...

- ما هذا الذي تقوله؟!

- اسمع..لا وقت تضيعه...لقد فعل معي ذلك وأكثر في بداية نجاحي أيضا...

- (محسن)؟! ولكننا أصدقاء ... مستحيل!!

- لقد حذرتك وقد أعذر من أنذر...!!

***

طار النوم من عيني تماما بعد ما قاله (مدحت) ... لا زلت لا أصدق ولا أملك دليلا .. ولكنني رغمـا عـني ملـت إلى تصديقه ... ربما لأنني أردت أن أجد تفسيرا مبررا لما حدث...

شعرت بنوع من التكاسل وأنا أنهض خوفا مما ينتظرني من تنظيف ... لا بد وأن المنزل يبدو كحظيرة الحيوانـات بعـد مغامرة الأمس و.....و...

- ما هذا؟!

كل شيء نظيف و في مكانه...!

غريبة ... أنا شبه واثق من أنني قلبت الدنيا رأسا على عقب البارحة...

أمن الممكن أن تكون (أم إبراهيم) جاءت ورحلت بهـذه السرعة؟!

***

جلست أمام لوحة الرسم شارد الذهن...

لقد زاد تخبط ذهني خاصة بعض أن أكدت لي (أم إبراهيم) في الهاتف أنها لم تأتِ اليوم ..

حاولت التشاغل باللوحة الموضوعة أمامي...

(منار)...زوجتي (منار)...

شعور غريب انتابني منذ توفيت وجعلني لا أكف عن رسمها ... بكل الأحجام .. والألوان .. والطرق .. والأوضاع...

حتى امتلأ المترل عن آخره بصورها....

وسرحت ببصري في ملامحها المرسومة أمامي...

ربما لم تكن (منار) فائقة الجمال..

و لكنها- بكل تأكيد- كانت جذابة لطيفة ولا ينكر ذلك أحد...

كل من رآها أو تعامل معها أحبها..

ربما لم يوجد شخص طبيعي واحد أضمر لها شرا أو حقدا..

نعم...كانت (منار) ملاكا...لا يكرهه إلا شيطان..

نفضت هذه الأفكار عن ذهني وغمرت فرشاتي في اللون...

يجب أن أنهي هذه اللوحة...لقد بدأتها منذ مدة ولازلت لم أكملها ولا أدري لم...

وفجأة...

دق جرس الباب...

كان صوته عاليا مفاجئا حتى إنني انتفضت في مكاني بقـــوة واندفعت فرشاتي بكل ما عليها من لون لتضرب اللوحة..

وأصبت بالهلع عندما وقعت عيني عليها...

بقعة حمراء صارخة لوثتها تماما فوق موضع الرأس..وراحت تسيل حتى تساقطت على الوجه وأفسدته تماما...

لقد انتهى أمر هذه اللوحة هي الأخرى...

لا أدري ما الذي حل بي و بلوحاتي..!!

كان الجرس لا يزال يخترق رأسي بإلحاح مزعج فنهـــضت بعصبية لأرى من هناك ... وما إن فتحت البـــاب ... حـــتى اتسعت عيناي بشدة...

فلم يكن هناك من يقف أمام الباب على الإطلاق ..

مددت رأسي إلى الأمام بحذر وقلت بصوت أردته قويا لكنه جاء واهنا:

- من هناك؟

لم أجد إجابة ولكنني لمحت ظلا يتحرك قـــرب المـــصعد في زاوية لا أتبينها جيدا...يجب أن أمد رأسي إلى الأمام أكثر كي أفعل .. لكنني تجمدت في مكاني وآثرت أن أدخل .. وبسرعة

أغلقت باب الشقة ورحت ألهث بعنـــف ... لا أدري مـــاذا يحدث وماذا دهاني ...

قررت أن أهدأ وأحاول معاودة الرسم ... وتذكرت اللوحة التي فسدت تقريبا فشعرت بالكآبة ... لكن .. لا بـــأس ... سأحاول أن أصلحها فيما بعد..

تناولت الجريدة .. وقرأت حظي كما أفعل كل يوم ...

"هناك أخطاء لا يمكن إصلاحها...حتى وان كانـــت غـــير مقصودة...".

أنا عادة لا أصدق هذا الهراء المكتـــوب في الـــصحف ... لكنها صدفة غريبة اليوم....!

كذب المنجمون ولو صدقوا ... كذا قلت لنفسي...

و مرة أخرى انطلق الرنين...

كان الهاتف هذه المرة ... ورحت لأرد ... فلم أسمع شيئا.. إلا .. إلا صوت واهن ضعيف كأنه فحيح..

شعرت بنوع من القلق ولكنني طمأنت نفسي بأنه شخص يعابثني بالتأكيد .. أو معجبة خفية..!

و فسرت جرس الباب على أنه طفل أو بضعة أطفال رائقي المزاج قرروا أن يجعلوا مني تسليتهم اليوم .. ولا ريـــب أنهـــم اختفوا في لمح البصر عندما هممت بفتح الباب .. لقد كنـــت طفلا وأعرف كيف يركض الأطفال ..

لا يوجد ما يريب في هذا...

لكن أن يتكرر الأمر خمس مرات في أقـل مـن نـصف ساعة...فهذا هو ما يريب...

بل و يخيف أيضا...

ألا ترى معي ذلك؟!

***

عندما دق جرس الباب للمرة السادسة كانت أعصابي قـد انهارت تماما..

ظل الجرس يلح لكنني تجاهلته ... بل وكدت أتجه إلى غرفة نومي هربا منه لولا أن سمعـت صـوت الـدقات أعقبـها صوت(مدحت) يصيح قائلا:

- (خالد)...افتح..البواب قال لي إنك موجود ... هل أنت بخير؟!!

أسرعت أفتح الباب وما إن رآني حتى ضحك قائلا:

- ماذا دهاك؟ تبدو وكأنك رأيت شبحا..

ظل وجهي جامدا فعاد يقول بقلق:

- (خالد)..ماذا بك؟!

ظللت صامتا أحدق فيه بنظرة خاوية فقال:

- ألن تدعوني إلى الدخول؟

- ....

- هل أرحل؟

- ....

- هل جننت؟!!

قالها وراح يضرب كفا بكف ويبتعد...و ما إن رأيته ذاهبا حتى صرخت فجأة:

- (مدحت)...انتظر...!

- ماذا دهاك يا (خالد)؟...ماذا حدث؟

- ادخل و سأخبرك....

***

ما إن انتهيت من قصتي حتى ابتسم (مدحت) قائلا في بساطة:

هناك من يعابثك أو يعاكسك..هذا كل ما في الأمر..

- أنت لا تفهم... ربما يصلح هذا التفسير مع الهاتف...لكن جرس الباب يظل يدق في إلحاح ... وعندما أفتح لا أجد أحدا ... الفرق الزمني ضئيل جدا...لا يسمح

بالركض أو الاختفاء..فأين يذهب من يفعل هـذا؟....هـل يتبخر..؟!!

عموما أيا كان هذا فأظنه توقف...ها قد مرت فترة طويلة نسبيا...و لم يحدث شيء...لا أدري ... ربما كان هذا الأمـر مرتبطا بوجودي وحيدا...

- (خالد) ... لا تفكر بهذه الطريقة ... كل هـذا نتيجـة لتوترك بسبب ما حدث في المعرض...لا تضغط على أعصابك أكثر...

- لا تذكّرني بالمعرض...

- بل يجب أن تتذكر لتأخذ حذرك...

- من (محسن)؟

- ومن غيره؟

- على كل حال ... إن كان ينوي تحطيمي فقد نجـح في ذلك... ولا جديد يمكن أن يضيفه...

لازالت هناك لوحات سليمة كما قلت لك ... ثم إن الفترة القادمة تتطلب إنتاجا غزيرا لتعويض الخسارة...

قالها ونهض يدور في أرجاء المكان..ثم أضاف:

- واضح أن إنتاجك غزير فعلا .. ولكنك لا ترسم إلا....

بتر عبارته بسرعة وقال وهو ينقل بصره بين لوحتين:

- التطور في مستواك واضح للغاية..

وعاد يطالع اللوحات التي ملأت المكان حتى وصل إلى غرفة النوم وسمعته يقول:

رباه...لقد كانت تحفة فنية..ماذا حل بها؟!

- غلطة غبية...

- غلطة مؤسفة ... ولكن كيف حدثت؟ وما السبب؟ هل العيب في الفرش؟

- بالعكس..إنها الفرش التي أهدتني إياها (منار) رحمها الله...فرش فاخرة...

مد يده يتفحص إحداها في اهتمام قائلا:

- ممم .. لا ريب أنها باهظة الثمن...

- لقد أخذنا الحديث .. ولم أقدم لك شيئا ... اعذرني .. لست في حالتي الطبيعية...

- بل هذه هي حالتك الطبيعية أيها البخيل..!

أطلقت ضحكة عالية قبل أن أقول:

- سامحك الله..ماذا تشرب؟

***

انطلق صفير الإعجاب رغما عني وأنا أتطلع إلى الورقة الصغيرة التي رسم عليها (مدحت) وأنا أقول:

- ما هذا الفن يا أستاذ؟

- هل أعجبك؟

- أعجبني فحسب؟ المزهرية تكاد تنطق .. وكيف رسمتها بهذه السرعة؟

- خبرة..

- خبرة أم أنها فرشاتي الرائعة؟

- وما الفرشاة دون فنان؟...يا عزيزي أنت تقف أمام فنان حقيقي .. قاتل الله مدعي الفن ... إنهم يحرمون أمثالي من النجاح...

- كف عن التفاخر أيها الفنان الحقيقي ... قبل أن أكسر مزهريتك هذه فوق رأسك .. ولكن لماذا هذه المزهرية بالذات؟!

- إنني أحب هذه المزهرية بصورة خاصة .. أرسمها دائما وأتفاءل بها..هل نسيتها؟ إنها تذكرني برحلتنا الأولى إلى فرنسا.. لم ندر ماذا نشتري لزوجاتنا فاشترى كل منا واحدة.. كنت تضعها دائما في الصالة ... أين هي؟

وكانت تلك الليلة أيضا كسابقتها...

كوابيس مليئة باللهاث وانتفاض عنيف من الفراش إثر سيل طلقات حادة من آلة التعذيب المسماة بالتليفون...

رددت بصعوبة و ذهني مشوش:

من هناك؟

- سيد (خالد)...؟

- نعم أنا...من؟

- أنا (حازم)..

- (حازم) من؟!

- حارس المعرض..

- أي معرض؟

- معرضك يا سيدي..اللوحات..

- لعنة الله على هذا المعرض...ليته يحترق..!

- و... ولكن.. ولكن هذا ما حدث بالفعل يا سيدي...!!!

***

لا أظن أنني مررت بأوقات أصعب...

أو أغرب...!

كل شيء يبدو ضبابيا...شاحبا..

أسير على ساقين من عجين و قدمي تغوص في الأسفلت كأنه قطن..

أشم رائحة غريبة في أنفي..تشبه رائحة الدماء...و...

***

أشعر شعورا غريبا...كأن هناك من يراقبني...

***

كان المنظر اليوم أكثر بشاعة من الأمس..

وقد تجمع عدد أكبر من السادة هذه المرة... ولكنهم لم يكونوا غاضبين ... لقد بدا على وجوه أكثرهم مزيجا من الذهول والاستنكار والشفقة .. حتى رجال الشرطة والضابط السخيف إياه ... كانوا ينظرون لي في صمت .. ولدهشتي ... لم يوجه لي أحدهم أي سؤال..

طبعا ... معهم حق ... فمن يصدق أن المعرض الذي كان غارقا بالمياه أمس قد احترق اليوم؟!

و رغم كل شيء ... فلم يكن الوضع بالداخل ... بالسوء الذي يبدو عليه بالخارج...

صحيح أن أغلب اللوحات تفحمت إلا قلة قليلة مازال فيها الرمق ميزت من بينها لوحة "النبع"...ولوحة "الشلال" التي لم تمس تقريبا...

وصل إلى أسماعي صوت الضابط وهو يقوم بأخــذ أقــوال الحارس و الشهود .... إما أنه يائس تماما من استجوابي ... أو أنه يحتفظ بي في النهاية على سبيل التحلية...

تجاهلته تماما وأنا أدور ببصري في المكان محاولا معرفة سبب الحريق...

وفجأة توقفت عيني عند نقطة بعينها...

لقد عرفت سبب الحريق..

كان يجب أن أتوقع ذلك...

واتجهت ببطء إلى تلك النقطة..

قلبي يخفق بسرعة ...وبقوة...

جسدي كله يرتجف...

يشتعل رأسي نارا...حتى أكـاد أشـعر بحرارتها تلفـح وجهي...

إنه يقف هناك موليا ظهره لي وقد راح يتطلع إلى مجموعـة من اللوحات باهتمام...

رائحة الدماء تزداد في أنفي ...

عضلاتي تنقبض وتتكور...

رأسي يشتعل...وجهي يحتقن...

وفي النهاية خرجت كل هذه الطاقة من حلقي..

وتجمعت في كلمة واحدة:

(محسن)...؟!!!!!

التفت إلي بحركة حادة وقد أفزعته صيحتي لكنه سرعان ما تمالك أعصابه وأسرع يقول:

حمدا لله أنك أتيت..كنت سأحدثك لكن الحارس أخـبرني أنه فعل وأنك في الطريق...يجب أن أخبرك بهذا...!!

- تخبرني بماذا؟

- لا أعرف بالضبط كيف أشرح لك ... إنه تفسير غريب جدا .. ولكنه التفسير الوحيد.

- أي تفسير؟

- تفسير ما يحدث هنا في المعرض..

- ولكنني أعرف تفسير ما يحدث في المعرض..

قلتها ببرود فاتسعت عيناه في ذهول وهو يقول:

- تعرف....؟!!!

- بالتأكيد..

- و..وكيف عرفت..؟!

- (مدحت) أخبرني...

- (مدحت) أيضا يعرف؟!!!

- بالطبع..انه أمر واضح...

- يا إلهي...و ماذا ستفعل؟؟

- لا شيء...سينال المجرم عقابه بعد أن أثبت عليه التهم..!

- المجرم؟!...أي مجرم؟!!

- أنت..أنت يا (محسن)...!!

كادت عيناه تثبان من محجريهما وهو يهتف:

- ماذا؟ ما هذا؟؟...عم تتحدث؟!

- أتحدث عنك يا (محسن)...

- ما هذا الهراء...؟ أتظن أنني من يفعل كل ذلك؟!

- ومن يكون غيرك؟

- لماذا؟ لماذا تظن ذلك؟!!

ألم تلاحظ معي يا (محسن) أنك موجود دائما في كل مــرة تحدث فيها كارثة للمعرض؟ موجود دائما بــل وتــسبقني في الوصول إليه...

- ولكن هذا ليس دليلا...ثم..لماذا سأفعل ذلك؟! لا بد من دافع...

- موجود طبعا..وهو الغيرة..

- الغيرة؟!! أنا؟ أنا أغار منك؟!

- نعم..لقد لاحظت ذلك منذ أيام الجامعة .. وقد أكده لي (مدحت)...

ضحك بسخرية مريرة وهو يقول:

- (مدحت)..؟!!

- نعم...دائما تغار منا .. تغــار مــن نجاحنــا وتفوقنــا وموهبتنا...

– موهبة؟ أية موهبة؟ أنت لا تمتلك أية موهبة يا (خالد) وكلنا نعرف ذلك ... وهذا هو مربط الفرس..!!! لقد أصبحت لوحاتك رائعة فجأة ...رائعة إلى درجة غريبة و...

قاطعته صارخا:

أجل...اعترف..اعترف أن نجاحي يخنقك كما أخنقك نجاح (مدحت) من قبل .. لقد أعمتك الغيرة فرحت تدمر أصدقاء عمرك..!!!

– أية غيرة؟!! (مدحت) آخر من يتكلم عن الغيرة ... إنه يغار بصورة قاتلة ... ومنك بالذات ... لو لاحظت طريقة كلامه لعرفت ما أتحدث عنه ... ولكنني لن أكون تافها وأرميه بالتهم جزافا كما فعل هو معي ... (خالد) .. (خالد) ... إلى أين أنت ذاهب؟ ارجع أيها المجنون...!!!!

***

"لقد وجدنا منافسا قويا يا رجل...لن تباع لوحاتنا بعد الآن!".

***

من أصدق؟!

من أكذب؟!!

هل أصبت بلعنة ما جعلتني أفقد زوجتي وصديقيّ عمري في أقل من عام؟

رباه...!!

دوار عنيف يجتاح رأسي...

و خوف غريب يتملكني..

أنا وحدي في هذا العالم...

وحدي...وحدي...

و لكن...مهلا...

لا...أنا لست وحدي ... وكأن هناك من يتبعني..

يا إلهي .. هناك من يتبعني فعلا .. أنا واثق من ذلك...

أسرعت الخطا فأسرع مثلي..

و أبطأت فأبطأ..!

هذا ما كان ينقصني فعلا...لا يوجد ما هو أجمل من السرقة تحت تهديد السلاح لأنهي هذا اليوم السعيد...

رائحة الدماء تزكم أنفي...

التفت فجأة...

لا أحد هناك...

ماذا يعني هذا؟!!!

أين اختفى؟

واصلت السير من جديد...

و عاد صوت الخطوات..

و عدت أنظر خلفي...

لا أحد...!

و ظللت هكذا دواليك..

حتى وصلت إلى منزلي لاهثا وأغلقت الباب خلفي وأنا أتلفت حولي كالمجنون..

دلفت إلى غرفة النوم وألقيت بنفسي فوق الفراش...

و غبت عن الوعي...

***

استيقظت فجأة وقلبي يخفق بعنف...

كان قرص الشمس يغيب في الأفق..وراح الظلام ينتشر رويدا رويدا...

شعرت بنوع من التشوش فنهضت أعد لنفسي كوبا من القهوة...

وضعتها على الموقد واتجهت إلى الحمام لأغسل وجهي..

خرجت منتعشا.. وجلست في الصالة المظلمة شاعرا بنوع من الهدوء والسلام النفسي مع الإضاءة الخافتة المنبعثة من المطبخ و غرفة النوم..

دق جرس الباب فجأة فانتفضت في مجلسي وهضت أفتح لأجد المدخل خاليا تماما..!

لقد عاد هذا الوغد ليعابثني مرة أخرى..

اللعنة على كل من يعاني فراغا يجعله يتسلى بإزعاج الناس هذا الشكل..!

عدت أجلس لولا أن تذكرت القهوة..لابد أها فارت وأغرقت الموقد..

أسرعت إلى المطبخ و..

تجمدت في مكاني..

كان الموقد خاليا نظيفا وقد صبت القهوة في القدح على المنضدة..!

ما هذا..؟

من فعل هذا؟

هل صببت القهوة دون أن أشعر؟

هل تشوش ذهني وانعدم تركيزي إلى هذا الحد؟!

أخذت القدح وأنا أنظر إليه في شك .. وارتشفت منه ببطء وأنا أخرج إلى الصالة..

كنت لا أزال واقفا في الطرقة الصغيرة التي تفصل الصالة عن المطبخ عندما .. عندما لمحت ذلك الشيء..

أو ذلك الشخص..!!

كأنه رجل ضئيل البنية مر بسرعة واختفى في الظلام..

وشعرت بقشعريرة تسري في جسدي كله..

اتجهت بسرعة إلى مفتاح الإضاءة وضغطت عليه وسرعان ما غمرت الأنوار المكان..

درت ببصري بسرعة باحثا عن هذا الشخص أو هذا الشيء..

ولمحته...

لمحته بطرف عيني لجزء من الثانية لم أتبين فيها الكثير...

هناك متسلل فعلا في شقتي..

رجل ضئيل قصير أو..امرأة..

وفجأة دوت فرقعة عالية وراحت الإضاءة تتلاعب في الشقة قبل أن تخمد الأنوار كلها...

لقد اختار التيار الكهربائي أسوأ وقت كي ينقطع...!

حمدت الله أن الظلام لم يكن دامسا مع أضـــواء الـــشارع والكشافات التي تعمل تلقائيا عندما ينقطع التيار..

سمعت صوت خطوات في غرفة النوم..

لابد وأن المتسلل هناك..

مددت يدي لأمسك مزهرية ثقيلة على ســـبيل الـــسلاح واتجهت إلى غرفة النوم..

و فجأة دق جرس الباب و...

ماذا؟!

جرس الباب؟

كيف يدق جرس الباب رغم انقطاع التيار الكهربائي؟؟!!

كيف؟؟

هل هناك عطل ما؟!

هل احترقت بعض الدوائر.. و ظلت الأخرى سليمة؟

و لكن ...يجب أن أتجاهل موضوع الجرس الآن..

شعرت بالخوف لكنني حاولت التماسك وأنا أشدد قبضتي على المزهرية وأتجه إلى غرفة النوم حيث يقبع ذلك المتسلل..

و رحت أقترب وأقترب...

وقفت على الباب في توتر ودارت عيني في الغرفة بحذر..

ولدهشتي..كانت الغرفة خالية .. خالية تماما..!

هل فر ذلك المتسلل من النافذة؟

هل يختبئ في الدولاب..أو تحت الفراش..؟

كانت الإضاءة لا بأس بها لحسن الحظ رغم تذبذبها الذي لا أدري له سببا..فواصلت بحثي و...

الإضاءة..!

كنت أتصور أن مصدر تلك الإضاءة هي الكشافات..

و لكنها ليست كذلك..!!

رباه..أيعقل هذا؟

***

"لا أعرف بالضبط كيف أشرح لك...إنه تفسير غريب جدا..ولكنه التفسير الوحيد..".

***

كانت النسمات الرقيقة تضربني في وجهي بهدوء..

وكلما اقتربت شعرت بنوع من الدفء أنا أتجه إلى .. إلى..

إلى تلك اللوحة..

لوحة" شمعة في مهب الريح"...

كانت الشمعة في داخل اللوحة تهتز وكأنها فعلا في مهب الريح...!!

اتسعت عيناي عن آخرهما..

و ظللت لفترة صامتا ذاهلا وقد تدلى فكي في بلاهة..

و مددت يدا خائفة متشككة إلى اللوحة ... ولامست سطحها..

***

"لعنة الله على هذا المعرض...ليته يحترق..!".

***

جذبت يدي وأنا أصرخ في ألم..

ونظرت في هلع إلى آثار الحرق على يدي..

عندما مددت يدي لألمس سطح اللوحة لم يلمس يدي أي شيء..

لأن اللوحة... لا سطح لها..!

لقد غاصت يدي في فراغها حتى لامست لهب الشمعة..!

ما معنى هذا؟!!!!!

هل تحولت اللوحة إلى واقع؟!!

***

"إنه يقف هناك موليا ظهره لي وقد راح يتطلع إلى مجموعة من اللوحات باهتمام...".

***

"رأسي يشتعل...وجهي يحتقن...".

***

الآن تذكرت..الآن فهمت...

تذكرت اللوحات التي كان (محسن) يتطلع إليها...

مجموعة "لهيب"..

هل تسببت لوحات هذه المجموعة في احتراق المعرض؟!!

***

"صحيح أن أغلب اللوحات تفحمت إلا قلة قليلة مـــازال فيها الرمق ميزت من بينها لوحة "النبع"...ولوحة "الشلال" التي لم تمس تقريبا...".

***

لهذا لم تمس هذه اللوحات...

لم تحترق لأنها بمجموعة" أمواج"...

المجموعة التي أغرقت المعرض في الليلة السابقة...

رباه..!!

ما معنى هذا؟

هل تدب الحياة في كل لوحاتي عندما يجن الليل؟!

هل يشمل هذا جميع اللوحات؟

أسرعت إلى لوحة أخرى أتحسس سطحها في لهفة .. كـــان سطحا صلبا باردا عاديا جدا...

و أسرعت إلى لوحة أخرى وأخرى ... و ...

***

"موهبة؟ أية موهبة؟ أنت لا تمتلك أية موهبة يـــا (خالـــد) وكلنا نعرف ذلك ... وهذا هو مـــربط الفـــرس..!!! لقـــد أصبحت لوحاتك رائعة فجأة ...رائعة إلى درجة غريبة ...".

***

فجأة..

نعم أصبحت لوحاتي رائعة فجأة..

و لكن لماذا؟

لماذا...؟!

***

"خبرة أم أنها فرشاتي الرائعة؟".

***

الفرش؟

معقول؟... الفرش؟!

رغم جنون الفكرة إلا أنني أسرعت إلى فرشاة قديمة وغمرتها باللون ورسمت خطا فبدا بلا معنى مفتقرا لأية لمسة فنية...

استبدلت الفرشاة بأخرى جديدة .. بضعة ضربات سريعة وتحول هذا الخط إلى خنجر رائع لمع نصله ببريق قوي وسقط بين قدمي على الأرض محدثا صوتا عاليا شق سكون الغرفة...

رباه..!

هذه الفرش مسحورة أو بها لعنة ما..!

كل ما ترسمه يتحول إلى واقع..

ولكن هل يحدث هذا معي أنا فحسب؟

لقد استخدمها (مدحت) من قبل ورسم بها تلك المزهرية..فما الذي حل بتلك اللوحة؟!

ورحت أقلب في كل الأوراق و اللوحات المحيطة بي فلم أجدها ...

ما هذا الهراء؟ أين اختفت؟

كنت أرتجف بانفعال..فجلست على طرف الفراش وحاولت أن أهدأ..

وانتبهت في هذه اللحظة إلى أنني ما أزال ممسكا بالمزهرية الثقيلة وقد التفت قبضتي حولها بقوة..و...

ما هذا؟

ما الذي أتى بهذه المزهرية هنا؟!

لقد تخلصت منها تماما..بعدما..................

***

"إنني أحب هذه المزهرية بصورة خاصة..أرسمها دائما وأتفاءل بها..هل نسيتها؟ إنها تذكرني برحلتنا الأولى إلى

فرنسا.. لم ندر ماذا نشتري لزوجاتنـــا فاشـــترى كـــل منـــا واحدة..كنت تضعها دائما في الصالة...أين هي؟".

***

هذه إذن المزهرية التي رسمها (مدحت)..لقد غدت حقيقيـــة فعلا..

ولكن..

لقد أتيت بهذه المزهرية من الصالة وليس من اللوحة...

فما الذي حرك هذه المزهرية من مكانها...؟!

انتبهت إلى أنني قلت هذه العبارة بصوت عال .. يا إلهي .. لقد جننت فصرت أحدث نفسي .. وأسأل .. وكأني أنتظـــر من يجيب..

و لدهشتي .. كان هناك من أجاب..

أتتني الإجابة من الخارج .. من الصالة..

إنه أنا يا(خالد)..

لم أصدق أذني عندما سمعت الصوت...

لا بد أنني أهذي..

هذا صوت لم أسمعه منذ ما يقارب العام..

صوت (منار)...!!!

***

ظللت صامتا جامدا..

أنا أهذي..أنا فقط أهذي..

- (خالد)..سيطر على أعصابك وتمالك نفسك...

لقد ماتت (منار).. ماتت ..ماتت...

- (خالد)...أين أنت يا حبيبي؟

كان صوتها هذه المرة أقوى وأوضح من المرة السابقة ...

لم يعد هناك مجال للشك..

و لا مجال للبقاء هنا أكثر من ذلك...

يجب أن أخرج لأرى هذا العبث..!

و بخطوات تتأرجح بين الإحجام والإقدام ... خرجت إلى الصالة...

و هالني ما رأيت...

كانت هناك (منار)...

و(منار)...و(منار)...

و بعدد ما رسمت من لوحات...

أعرف كيف تحب هذه المزهرية فأردت أن أضعها في مكانها المعتاد..

ظللت أتطلع إليها في رعب وذهول...

- هل ضايقك هذا يا حبيبي؟

رباه...لوحاتي .. لوحاتي دبت فيها الحياة ... زوجتي الميتة تخرج من اللوحة وتكلمني..!!

أنا نائم ... هذا ليس إلا كابوس مرعب وسأصحو منه...

وهنا قالت (منار) أخرى:

- هل أعد لك العشاء؟

نظرت لها في ارتياع و قد انعقد لساني...لكنني لست خائفا.. لأني أحلم ... لن أخاف منك يا (منار) لأنك حلم..

ظهرت (منار) ثالثة على بعد خطوات مني وهي تقول:

- سأعوضك عن كل ما فاتك يا عزيزي ... لقد كنت تراني كسولة لا أفعل أي شيء فيما مضى .. ولكنني تغيرت .. هل لاحظت ذلك؟ لقد صرت أرتب المترل .... هل أعجبتك القهوة؟

سأصحو ... سأصحو .. لا بد أن أصحو..!

اقتربت مني (منار) أخرى وهي تقول:

- أنا سعيدة جدا بنجاحك يا عزيزي...هـــل أعجبتـــك الفرش؟!

ثم اقتربت مني أكثر و نظرت في عينيّ بهيام ورحت أنا أتطلع في فزع إلى عينيها الميتتين .. وإلى شقوق الزيت في وجهها..

- أنا أتحدث إلى لوحة حية...!!

لم تتحمل أعصابي أكثر من ذلك...

انهرت تماما وأنا أصرخ وأسرعت أركض حتى وصـــلت إلى غرفة النوم وأغلقتها على نفسي بإحكام...

زوجتي الميتة تجول في صالة داري..!!

شعرت أنني موشك على البكاء من فرط الرعب..

لماذا؟ ... لماذا يحدث لي هذا؟

لماذا..؟!!

وكي أفسر ما يحدث كان يجـــب أن أعـــود بـــذاكرتي إلى الوراء...

إلى ذلك اليوم..

***

كان يوما شديد الحرارة .. تسلطت فيه أشعة الشمس فوق رأسي لتحرق أعصابي..

كنت ممسكا بلوحاتي وقد كادت تنزلق من بين يدي الملوثة بالعرق .. بعد رحلة مجهدة لبيعها انتهت كالعادة بالفـــشل .. فرحت أسب و ألعن وأنا في غاية الغيظ والتعب..

لا أريد في هذه الدنيا سوى حمام بارد وفراش نظيف..

وصلت إلى المترل ووقفت أمام باب الشقة لأكتشف أنـــني نسيت مفتاحي...

رحت أدق جرس الباب في إلحاح..

- أين (منار) ...لم لا تفتح..؟ أنا متأكد من ألها في المترل..

و عدت أدق الجرس مرة واثنتين...وخمسا..!!!

و اتصلت بها على الهاتف وما من مجيب..

ظللت واقفا أمام الباب ما يقارب من النصف الساعة و...

***

"لكن أن يتكرر الأمر خمس مرات في أقـــل مـــن نـــصف ساعة...فهذا هو ما يريب...".

***

و أخيرا فتحت لي الباب بكل هدوء..

ودخلت أنا في ثورة عارمة..

ألقيت اللوحات أرضا ورحت أصرخ وأركل الأثاث..

- أين كنت يا هانم؟!! أين كنت؟!!

أشارت إلى سماعة صغيرة في يدها وهي تقول :

- كنت أستمع إلى الموسيقى و...

- تستمعين إلى الموسيقى؟ و تتركين زوجك على الباب لمدة نصف ساعة؟!! ما هذا الإهمال؟

- أي إهمال يا (خالد)؟ لم أسمع الجرس ... وأنا أعرف أنك تحمل مفتاحك دائما معك..

- هذا ليس عذرا .. لم يكن ينقصني هذا الاستهتار لقد كان يومي أسود بما فيه الكفاية..

- وما ذنبي أنا في هذا ؟..عموما أنا آسفة ..

- آسفة؟! هذا ما تقولينه دائما..أنت لا تطاقي..مثال حي للاستهتار والكسل...

- (خالد) .. أنا آسفة فعلا ... أعدك أن أكون أفضل ... ولكن أخبرني..هل بعت شيئا؟

- أبيع؟ وكيف أبيع شيئا والنحس يركبني؟

اقتربت مني وربتت على كتفي وهي تقول مبتسمة:

- لا بأس .. لا تيأس ... لقد حضرت لك مفاجأة ستسرك... وستكون سببا في جلب الحظ بإذن الله..

- حظ؟ أي حظ سيأتيني وأنت معي؟ .. أنت نحس .. نحس..

ابتعدت عني وقد ملأت الدموع عينيها وهي تقول:

نحس..؟ أنا نحس؟ .. سامحك الله..

- نعم أنت نحس.. وأنا أكرهك .. أنت سبب فشلي!!

اتسعت عيناها وهي تقول في ألم:

- أنا؟! لقد تحملت إهاناتك بما فيه الكفاية ... أنا سبب فشلك أم أن موهبتك المحدودة هي السبب؟ قدراتك متواضعة يا (خالد) والكل يعرف ذلك .. والغريب أنك تحسب نفسك فنانا..!!!

***

كنت أسمع صوت (منار) يأتيني من الصالة وهي تناديني...

أسمع دقاقا على الباب..

أكثر من قبضة تدق في وقت واحد..أكثر من حنجرة تنادي علي هاتفة باسمي...!

تجمدت من الرعب و أنا لا أعرف ماذا أفعل..

رباه..ماذا أفعل؟!!

و فجأة سمعت صوت الأنين..

هذا الصوت يأتي من هنا..إنه قريب جدا...هذا الذي يــئن موجود معي في نفس الغرفة...

إنه يأتي من ذلك الركن بجوار النافذة..

و بالذات من اللوحة..

اللوحة الناقصة ذات البقعة الحمراء..

***

أحنقني ما قالته بشدة..

كيف تجرؤ على إهانتي بهذا الشكل؟!!

شعرت أن عقلي عاجز عن التفكير...

ورأيت العالم بلون أحمر قانٍ...

لم أشعر بنفسي وأنا أندفع كالثور الغاضب...

وألتقط المزهرية الثقيلة..و...

"هناك أخطاء لا يمكن إصلاحها...حتى وإن كانت غير مقصودة...".

***

كانت تنهض من اللوحة..!

تخرج منها ببطء أمام عيني المتسعتين..!!

و الدماء أو الألوان تسيل من رأسها لتغرق وجهها...وتتساقط على الأرض...

تسير ببطء نحوي...

وتئن...

***

وبأقصى ما أملك من قوة...هويت بالمزهرية على رأسها...!!

رأيت عينيها تتسعان في مزيج من الذهول والألم لجزء من الثانية وقد تدفقت الدماء من رأسها لتغرق وجهها...

رأيتها وهي تترنح قبل أن تتهاوى أرضا..

وتئن..

***

لازالت أصواتهن تتعالى في الخارج..

و بدا وكــأنهن مصرات على تحطيم الباب...

استمرت هي في التقدم نحوي ببطء..

وتوقفت فجأة والتفتت إلى المزهرية الثقيلة الملقــاة علــى الأرض بجوار الفراش حيث تركتها..

التقطتها ببطء..

وعادت تتقدم نحوي...

وتئن...

***

لم أصدق عيني وأنا أراها تلفظ أنفاسها الأخيرة...!

كيف فعلت هذا؟

لا يهمني أنها ماتت فهي لم تكن تمثــل لي ســوى بنكــا للتمويل...

كل ما يهمني أني وضعت نفــسي في مــأزق لا أحــسد عليه...

إنها كارثة بكل المقاييس..!!

كيف سأخرج من هذه الورطة؟!

كاد الباب يتهاوى تقريبا تحت وطأهن...

وصارت (منار) على بعد خطوتين مني..

كانت الضربة الأولى مؤلمة..لكنها لم تقتلني..

و أفعمت أنفي رائحة الدماء...

***

لقد كان منظرا رهيبا يا سيادة الضابط...

الوغد فاجأ زوجتي المسكينة وأرداها قتيلة...!!

لا يهمني ما سرقه من البيت...كل ما أريده هو رأس ذلك الوغد الذي سلبني زوجتي..!!!

***

كانت الضربة الثانية أقوى من الأولى..لكنها أيضا لم تقتلني...

و من بين الدماء التي أغرقت عيني...رأيت باب الغرفة يتحرك ببطء...

و تقدمن جميعا نحوي بخطوات صلبة متخشبة..

لم أعد أرى سوى وجوه متشققة ونظرات متوعدة في عيون جامدة ميتة..

لم أعد أرى سوى وجه (منار) الذي كنت أهرب منـــه في حياتها...و أجسده في لوحاتي مرارا بعد موتها...

لوحاتي التي دبت فيها الحياة...و نهضت من ســـباتها... لا تريد سوى الثأر مني..............!

***

(منار)... آسف لأني أسأت معاملتك وعددتك بنكـــا... آسف لأني كرهتك..لقد كنت ملاكا لا يكرهه إلا شيطان...

آسف لأني قتلتك.....

(منار)....

اعذريني........!!!!

الشيماء السيوفي

ضيوف المقابر



مقدمة :

أنا أقترب من المقبرة والجميع يقف حولها يحاولون فتحها .. أنا الوحيد الذي أعلم الأهوال التي تنتظـــر الجميـــع بــــداخل المقبرة.. أنا الوحيد الذي أعلم بأمر الضيوف .. لقد اختاروني بالذات لأكون أنا الوحيد الموكل باستقبالهم.

إنهم ضيوف من المقابر.

١ – أحداث غريبة

اسمي (عادل) طالب في المرحلة الثانوية ، أقطن بإحدى قرى محافظة القليوبية .. لا أعلم لما أقص روايتي هنا ولكني أريد إيصالها لوالدي خصيصا فهو أعز الناس إلى قلبي .. بدأت كل الأحداث الغريبة في ليلة الخميس الماضية أي منذ ما يقرب من أربع ليال سابقة حيث عدت من أحد الدروس الخاصة متأخرا هذه الليلة وذهبت رأسا إلى فراشي لشعوري بإجهاد يفوق الحد تلك الليلة فلم أصبر كثيرا لكي أغط في النوم .. ومن هنا بدأت الأحداث.

زكمت أنفي رائحة غريبة تشبه ... لا أعرف ماذا أقول ولكن دعني أضرب لك مثلا ، هل ذهبت في يوم من الأيام لدفن أحد أصدقائك أو أقاربك ؟ هل دخلت المقبرة من الداخل ؟ ستشم في تلك اللحظة رائحة شديدة تجمع ما بين العطن ورائحة التربة ورائحة أخرى ستقتلك اختناقا.

تلك هي الرائحة التي شممتها وأنا نائم والسبب أنني قادر على وصف تلك الرائحة أنني شممتها منذ ثلاثة أسابيع عندما كنت أقوم بدفن (خال والدي) في مقابر أسرتنا منذ شهر فدخلت بنفسي داخل القبر لاستلام الجثة أنا ووالدي لنقوم بوضعها في القبر ، لذلك ظللت متذكرا تلك الرائحة.

ولكن المشكلة ليست في الرائحة فقط فالرائحة استمرت لثوان ففجأة رأيت كأنني أقف في مكان مظلم وهناك أصوات خارج هذا المكان .. أصوات أشخاص يقومون بالدعاء لميت ما وشخص ما يقرأ آيات من القرآن بصوت عال ...!!! أعتقد أنني بدأت أتذكر تلك الأحداث ولكن لا أعلم متى مررت بها.

هنا جاء الضوء عن طريق باب قد انفتح وأصوات جلبة تأتي من خلفه .. الآن أنا أقف في غرفة صغيرة بعض الشيء يأتي ضوء النهار ليبدد ظلامها ، ولكن ما هذا ؟ ما الذي أراه..!!!!

أنا أدخل من الباب وبجانبي والدي ؟ نعم أنا أرى نفسي أدخل من الباب وبجانبي والدي ندخل بحذر لنستقبل شيئا ما من الخارج ؟؟

لقد تذكرت .. أنا الآن أرى وقت أن قمت بدفن (خال والدي) منذ شهر بنفس التفاصيل ولكن تلك المرة أنظر لنفسي وأنا أقوم بذلك من مكان آخر.

كانت المؤثرات كاملة كما هي الرائحة والأصوات والأضواء وكأن المشهد يعاد مرة أخرى ولكن لحظة !!!

التربة التي تحت والدي بدأت في الخلخلة أسفله وكأن أحدهم يحاول أن يحفر للخروج منها ؟؟

ويبدو أنه لم يلاحظه أحدهم فوالدي يكمل وأنا معه كـي نضع الجثة ، ولكن التربة تزداد قسوة الخلخلـة بهـا بسرعة شديدة.. ؟

حتى خرجت يد من التربة !!! خرجت اليد وتبعتـها يـد أخرى تحاول الخروج ثم جسد يقوم من التربة. جسد بـالمعنى الحرفي للكلمة فهو جسد بلا رأس .

يرتدي جلباباً ممزقا متسخا . قام هذا الجسد ووقف في أحد الأركان بثبات.

والدي بدأ يقرأ آيات وهو يكشف عن الجثة وأنـا بجانبـه أردد أدعية ولا ينتبه أحدنا لذلك الجسد الذي يقف في الركن، وفجأة من الركن الذي أقف فيه وجدت التربة تتخلخل حولي ويخرج منها فتى ذو عين مفقوءة ودماء في كل أجزاء جسده . وقف هذا الفتى بعد أن خرج من التربة ثم اتجه ليقف بجانـب الجسد الذي يرتدي الجلباب.

نظر لي الفتى وأحسست أن عينه الواحدة تركز نظراتها علي في المكان الذي أقف فيه أراقب المشاهد .. ثم تكلم بـصوت متحشرج :

- عادل . قم بإنقاذنا ، نحن ...

فجأة قمت مفزوعا قبل أن أكمل الحلم .. أريد هواء هواء، أخذت أشهق وأنا أردد كلمات بدون معنى حتى هدأت حركتي .. ثم قمت بالنزول من فراشي وذهبت للحمام.

عند دخولك لحمامنا الصغير ستطالعك مرآة كبيرة أعلى الحوض ، وبمجرد دخولي نظرت للمرآة بنصف عين لأنظر لوجهي المنتفخ من أثار النوم .. هنا توقفت لحظة وقد اتسعت عيني للحظة ، هل ما رأيته في المرآة صحيحا ؟؟؟ نظرت مرة أخرى للمرآة وقد اقتربت منها قليلا ، ما هذا ؟؟ علامة سوداء على جانب رقبتي من الجهة اليسرى .. خط بارز قليلا يحتل مساحة لا تقل عن عشرة سنتيمترات بالعرض من منتصف رقبتي مرورا بالوريد الودجي ..!!! تلمست الخط بيدي لأجده بارزا قليلا ؟؟؟

هل حدث ذلك عند نومي وأذيت نفسي بيدي أم حدث ذلك قبل رجوعي من الدروس الليلة ؟ أنا لا أتذكر الليلة جيدا لكن أعتقد أن ذلك لم يحدث أثناء حضوري دروس اليوم...!!!!!

***

يسير في الطريق وهو ينظر حوله جيدا .. وهو يقول في نفسه أي طريق يسلك ليصل سريعا لمنزله ؟ إذن سيذهب من الطريق الزراعي والذي أطلق أهل بلدته هذا الاسم عليه لأنه يمر بين الأراضي الزراعية ، ربما لأن الليل قد أتى وهذا الطريق لا

يحتوي على مصابيح والكثيرون لا يشعروا بالأمان في السير فيه ليلا .. ولكنه يختصر الكثير من الوقت ، توكل على الله واتجـــه ناحية الطريق .

***

أخذت أحاول النزول من الفراش وأنا أتثاءب بعد استيقاظي صباح يوم الجمعة .. تذكرت ما حدث في منتصف الليل عندما استيقظت من الحلم المفزع ثم رؤيتي للخط الأسود على جانب رقبتي .. شيء عجيب بالفعل ربما كان مرضا جلديا ولكن متى أصبت به ؟

سرت حتى الحمام وأنا ألقي التحية على والدي ووالـــدتي وأخذ بعض الملابس لأقوم بالاستحمام ، دخلـــت الحمـــام ثم خلعت ملابسي وحدثت المفاجـــأة ، خطـــوط كـــثيرة تمـــلأ صدري..!!!!

طول الخط الواحد منها لا يتعدى الأربعة سنيمترات ولكنها تملأ الصدر . تلمستها فأحسست ببروزها عن الجلد ومشابهتها لنفس الخط العرضي الذي يحتل جانب رقبتي الأيـــسر !! فلـــم أتمالك نفسي من الدهشة والخوف من تلك الأشياء .. يجب أن أحاول الربط بينها بأية طريقة.

***

بعد عودتي من صلاة الجمعة أنا وأبي دخلت غرفتي بينمـــا كانت أمي تجهز الإفطار لنا جلست أنا أفكر في تلك الأحداث

حلمت بحلم غريب يتعلق بالمقبرة التي دفنت فيها جثة قريبي ولكن لا غبار على الحلم فربما يكون حلما عاديا جدا .. ولكن أن تحدث أشياء لجسدي بعد الحلم كأن أرى تلـــك الأشـــياء الغريبة على رقبتي وجسدي فهذا يحتاج لوقفة ...

حمدا لله أننا في فصل الشتاء وملابسي معظمها ذات ياقـــة يمكن أن تداري ذلك الشيء الغريب الذي يطوق رقبتي

ولكن هل من الممكن أن أكون أنا من أحدث تلك الأشياء لنفسي أثناء نومي بيدي ؟؟ أو ربما حـــدثت لي قبـــل أن آتي المترل؟ لا أعتقد أنها حدثت لي وأنا بالخارج بالرغم من أنني لا أتذكر الكثير عن البارحة ولكني بالتأكيد كنت سأذكر تلـــك الأشياء .سمعت صوت أمي تدعوني للخروج لأفطر مع والدي فخرجت وجلست بجانب والدي وأنا مازلت أفكر في ذلـــك الحلم ولا أجد له تفسيرا وقد قررت شيئا يجب أن أفعله اليوم.

لقد ذهبت للمقابر في الساعة السادسة مساء ، نعم فهـــي قريبة لنا ولا أقصد أنها قريبة من مترلي بل هي موجودة في قريتنا ويمكن لأي منا زيارتها في أي وقت ففكرت في الـــذهاب لهـــا لمطالعة قبر قريبي وقراءة الفاتحة له.. ولأنني أحسست أن هناك شيء يتعلق بها ولا أعلم ما هو ، كانت المقابر تتراص على هيئة شوارع أو حارات وفي كل شارع تسير لتجد المقـــابر علـــى الجانبين والأشجار تظللها من الأعلى وتحجب الشمس وتعطي لمحة من الرعب حتى في النهار ، المقابر من النوع الـــذي يقـــام

فوق سطح الأرض أي أن القبر يُبنى كغرفة كبيرة وتوضع الجثث متراصة بجانب بعضها البعض في كل مقبرة لعائلة معينة.

بحثت في الحارة الثالثة بين المقابر عن مقابر عائلتي حتى وجدت لافتة من الرخام كتب عليها اسم عائلتي وتاريخ بنائها لمقابرها .. فوقفت أقرأ الفاتحة وأدعو لهم ، وبعد أن انتهيت نظرت لباب القبر الخاص بالرجال بتمعن.

كان بابا في منتصف القبر يعلو عن الأرض بمسافة متر ومغلق بقفل كبير ..

اقتربت وأنا أتحسس باب المقبرة بخوف ورهبة ثم أمسكت القفل بيدي واقتربت منه ومسحت عليه بإصبعي بحرص لأرى كمية الغبار التي تكونت علية ؟ شهر كامل بدون أن يلمس أحدهم قفل المقبرة وعلية كمية قليلة من الغبار ربما تكونت من يوم أو اثنين ؟؟

جريت على قفل ثلاثة مقابر أخرى لأرى غبار كثير يملؤها.

أعتقد أن استنتاجي صحيح ربما هو مازال شك ولا يوجد سبب قاطع يدعمه ولكني واثق أن هذا القبر قد فتح منذ فترة قريبة جدا. كنت مازلت أتطلع للقفل وأنا أقبض عليه بيدي وحانت مني التفاتة ناحية الأرض. باب المقبرة صغير جدا وعلى ارتفاع متر ونصف عن الأرض فهناك (مصطبة) أسمنتية ليصعد عليها مشيعي الجنازة لكي يمكنهم الدخول من باب

القبر .. تلك المصطبة تكونت عليها أتربة كثيرة ، وفوق تلك الأتربة.

أثار أقدام كثيرة وكلها تتجه ناحية الباب أو عكس ناحية الباب .. أثار أقدام لم تزلها الأتربة أي أنها ليست من مدة كبيرة إن أردت رأيي. هل هناك من دخل تلك المقبرة لغرض ما ؟؟

مازال يسير في ذلك الطريق وهو يتلفت حوله في ذلك الظلام الكاحل فهو برغم قوته الجسدية يخاف من الظلام الذي يغلف ذلك الطريق المتطرف الذي من المستحيل أن تجد من يسير فيه ليلا ، لا شيء ظهر والحمد لله وها هو يقترب من نهاية الطريق حيث أضواء المنازل المطمئنة والحياة التي تسري في الشوارع ، هذا عندما سمع من ورائه صوت خطوات سريعة تعدو باتجاهه !!!!

***

عدت من المقابر وأنا أفكر بتركيز شديد في المقبرة وآثار الأقدام التي ظهرت بها وأنا أتذكر الأحداث واضعا الاحتمالات.. حتى وصلت لمنزلي وجلست على أحد المقاعد وأنا أغمض عيني لأريح جسدي .

ما هذا الذي أراه ؟؟؟ أنا أمام المقبرة مرة أخرى وأشعر بالهواء يلفح وجهي ؟؟

فتحت عيني بسرعة لأجد أنني مازلت على المقعد في منزلي!!! فأغمضت عيني مرة أخرى ورأيت نفسي في نفس

المشهد تقريبا ..أقف أمام المقبرة مرة أخرى ولكن هذه المـــرة أراها كأني أنظر لها من عيني الطبيعية والباب ثابـــت أمـــامي ، وفجأة دقات قوية تأتي من داخل المقبرة وصراخ فتاه في مرحلة الشباب تقول :

- أخرجني من هنا . أخرجني من هنا !

لم أعلم ماذا أفعل والطرقات تدوي مـــن داخـــل المقـــبرة والصراخ مازال مستمرا فاقتربت من المقبرة ولمـــست البـــاب بيدي وأنا أشعر ببرودته على يدي .. وسمعت صوتي يقول :

- لا تحزني سأخرجك !

هنا هدأت صوت الدقات من داخل المقبرة وسمعت نحيـــب الفتاه وهي تبكي وتردد كلمة أخير :

- لا تتركني هكذا أريد العدالة !

!!

قمت بفتح عيني فرأيت نفسي جالسا في المقعد كما كنت ؟ ماذا حدث لي حالا ؟ أغمضت عيني مـــرة أخـــرى فلـــم أر شيئا!!!! ماذا يحدث في تلك المقبرة يا ترى ؟

***

ظللت جالسا على المقعد منتظرا والدي كي أشركه معي في تلك الأحداث الغريبة .. حتى دخل من باب الشقة ونظـــر لي بدهشة ، ولما رأى وجهي المرتبك قال لي بابتسامة:

- ماذا بك يا (عماد) ؟

- لا شيء بالطبع ولكني فوجئت بشيء غريب أمس .

- ما هو ؟

تنحنحت بقلق فلا أعلم كيف أخبره بأني ذهبت للمقابر أمس بلا سب لكني وجدت سببا زائفا فقلت :

- (أحمد عادل) صديقي ذهب أمس ليلا لقراءة الفاتحة لأحد أقاربه فرافقته للمقابر وهناك وقفت أمام مقابر أسرتنا لقراءة الفاتحة لقريبنا الذي قمنا بدفنه منذ مدة .. وهناك وجدت بعض الأشياء غير المفهومة ..!!

- ماذا رأيت ؟

- القفل الموضوع على باب المقبرة في غاية النظافة وكأن أحدهم قد فتحه قريبا أو أن أكثر من يد وضعت عليه أكثر من مرة .. ورأيت آثار أقدام واضحة على المصطبة كلها تتجه للمقبرة من الداخل ونفس الآثار تتجه عكس باب المقبرة كأنها... كأن أصحاب تلك الآثار دخلوا المقبرة وخرجوا منها مرة أخرى .

صمت والدي قليلا ليفكر ثم قال :

- ولماذا لم تفكر أنه أحد أفراد أسرتنا قد ذهب لزيارة القبر؟

- لن يلمس أحد أفراد أسرتنا قفل المقبرة يا والدي ، هـذا غير أنك تعرف أنه إذا أتى أحدهم فإنه سوف يعلمنا لبعد مسافة قريتنا ولصعوبة وصولهم للمقابر بدوننا لأننا نعرف طريقها ونعرف أي الحارات توجد مقابر أسرتنا .. هذا غير أن أي من أفراد اسرتنا لن يلمس القفل أو يصعد على المصطبة بلا سبب أليس كذلك ؟

وضع والدي يده تحت ذقنه وهو يفكر قائلا :

- هناك احتمال تقصد أن تكون هناك شبهة سرقة جثث من المقبرة ؟

ما هذا الشيء خلف والدي ..!!!!

لون أسود خلف والدي وكأن هناك خلفية سوداء تغطي خلفه ، هل أنا أهذي أم أن هناك فتى في العشرين من عمره يخرج من بين السواد وهو ينظر لي .. ملابسه ممزقة في أكثر من موضع والدماء تملأ ملابسه ، إحدى عينيه مفقوءة يسيل منها سائل أبيض ...!!! هو نفس الفتى الذي رأيته في الحلم في الليلة السابقة !!!

لم أظهر أي شيء لوالدي وظللت أختلس النظرات خلفه وعيني تكاد تخرجان من محجريهما من الرعب مما جعل والدي يلاحظ اتجاه نظراتي لخلفه فنظر بسرعة خلفه ثم نظر لي باندهاش وهو يستفسر مني عما أرى .. إذن فهو لم ير شيئا وأنا الوحيد الذي أرى هذا الفتى ؟؟؟

٢ – حكاية ضيوف المقابر

– فقال لي والدي لا تمش في الطريق الـــذي يـــسير بـــين الأراضي الزراعية نهائيا ، و لم أكن سأصدقه لـــولا أن علمـــت بأمر حوادث الاختفاء .تسمرت مكاني وأنا أسمع تلك العبـــارة من أحد الجالسين في محاضرة اللغة العربية في الدرس الخاص .. كان يقولها لزميله ويبدو أن الحوار له بقية فركزت حواسي مع هذا الفتى لأسمع زميله يسأله عن أمر تلك الحوادث فيجيبه الفتى قائلا :

– ألم تسمع عن الفتاة التي اختفت منذ ثلاثة أيـــام عنـــد عودتها من زيارة لأحد أقربائها .. أهل الفتاه أكدوا أنها مـــن عادتها السير في ذلك الطريق ولكنها اختفت ، ومن شهرين ألم تسمع باختفاء ذلك الشاب الصعيدي الذي يعمل بناءً بالأجرة ، لقد قال آخر من شاهده من زملائه إنه قال لهم إنه ســيعود لغرفته وسلك الطريق الزراعي ، والدي هـــو المـــسئول عـــن التحقيقات في تلك القضايا .. والعامل المشترك بينـــها أنـــه لا وجود للشخص المختفي سواء آثاره أو جثته مما يوقف جوانب البحث هذا غير أن هناك حوادث أخرى كلها تتوقـــف عنـــد ذلك الطريق .. والمصيبة أن معظم الكمائن التي قـــاموا بهـــا لم تسفر عن شيء و لم يتم القبض على الجناة حتى الآن !!

نظرت لهذا الفتى وقد تأكدت من داخلي من أمـــر مقـــبرة عائلتي.

***

- نقودك !!

تفاجأ الشاب لما سمع تلك العبارة أثناء سيره على الطريـــق الزراعي ولكن العبارة أعقبها سلاح حاد يوضع علـــى رقبتـــه وصوت قهقهة يأتي من خلفه من أكثر من شخص .. يبدو أنهم ثلاثة أشخاص وصوت الذي طلب منه النقود يدل على أنـــه تحت تأثير المخدرات ، هنا أحس بشخص غير الـــذي يـــضع السلاح على رقبته يقوم بتفتيش ملابسه ثم خلع ساعته من يده وقال بسخرية :

- هاها عشرة جنيهات وساعة فقط ؟ أنت لا تستحق أن تقتل لأجلهم !

هنا لم يتمالك الشاب نفسه من الفزع عندما سمـــع كلمـــة القتل ..

***

أجلس الآن بغرفتي وأنا أفكر بكل الأحداث التي مـــرت بي منذ ليلة الخميس الماضية ، أحلام غريبة ثم أستيقظ ليلا لأجـــد أشياء غريبة تغطي جسدي .. تحسست عند تلك اللحظة رقبتي وصدري لأتأكد من وجود تلك الأشياء السوداء الغريبة

يبدو أنني أشاهد أشباح الأموات ؟ وكل تلك الأشباح تعطيني دلالة على مقبرة عائلتي وكأنهم محبوسين بها أو ... لحظة

محبوسين بها .!!! القفل نظيف وهناك أثار أقدام ...!!!! حوادث الاختفاء والتي لا تترك أثرا لجثث أو أي شيء يدل على المفقود ....!!!!!!

الخيوط تتجمع بعقلي ، جريت على غرفة والدي أقتحمها لأروي له في سرعة ورعب تلك الأفكار وربطها ببعضها البعض وطلبت منه سرعة فتح المقبرة بسرعة فما كان منه إلا أن اتهمني بالغباء والجنون ولكني أصررت قائلا إن لم يساعدني هو فسأذهب لقسم الشرطة لأبلغ عن معرفتي بأماكن الجثث .

فما كان من والدي إلا أن نظر في عيني وهو يفكر ماذا يفعل في تلك المصيبة فهو يعلم أنه لو وُجدت جثث في مقابر أسرتنا فستكون مصيبة كيفية إثبات أننا ليست لنا علاقة بتلك الجثث ، ولو قمت أنا بالإبلاغ فسيتم اتهامي أنا بتلك التهم .. كان في حيرة من أمره ولكنني اقترحت عليه أن يذهب لنقطة الشرطة في بلدتنا ويقوم بالإبلاغ عن الاشتباه بوجود أشخاص يقومون بفتح المقبرة الخاصة بأسرتنا ويطلب فتح المقبرة لمعاينتها.

نظر لي والدي بتمعن ثم قام ليستبدل ملابسه ليذهب للنقطة وحذرني من الخروج من المترل حتى يعود هو مرة أخرى ...

***

لم يتمالك الشاب نفسه وهو يستمع لكلمه قتل فقام بأكبر عمل أحمق في حياته .. بالرغم من وجود السلاح الحاد على رقبته إلا أنه تراجع للوراء برأسه وضرب بمؤخرة رأسه أنف من كان يطوقه بالسكين فتخاذل عن تطويق رقبته للحظات مما جعل الشاب يستغل الفرصة ليلتفت للخلف ليرى بوضوح المعتدين والذي أخرج أحدهم من جيبه سلاحا حادا آخر وحاول إصابته به لكن الشاب كان يتفادى السلاح ويوجه اللكمات له.

وفجأة أحس الشاب بمن يطوقه من خلفه مرة أخرى ويضع السلاح الحاد على رقبته مرة أخرى وهو يقول :

- دعني أعرفك بمن حاولوا المقاومة من قبلك ، سأجعلك تصل إليهم بأسرع مما تتصور !!

***

بعد ذهاب والدي بقليل جلست وحيدا أفكر وأنا أشعر بأن هناك حلقة مفقودة تجعلني أرتبك قليلا ولكن لماذا أشعر بأنني أعرف تلك الأحداث جيدا وكأنني أعرف تفاصيلها منذ القدم ....!! ظل تفكيري يقودني معه في كل حلم رأيته وفي كل حدث مر بي الأيام الماضية.

هنا شعرت برعشة خفيفة تسري في جسدي وأنا أفكر .. لا لا لا لا.

أنا أهذي أنا جننت نعم أنا جننت ، لا لا لا لا .. ليلة الخميس ، الطريق الزراعي .. لقد تذكرت كل شيء مرة أخرى

الدموع تسيل من عيني وأنا أنظر حولي ثم أحسست أنني أمتلك رغبة بتحطيم أي شيء أمامي .. جريت في أركان الغرفة أحطم كل شيء يقابلني وأنا أصرخ والدموع تنهمر من عيني وجسدي يزداد ارتعاشه ثم نظرت لباب الشقة وفتحته لأغادر المترل وأنا أسير باتجاه المقابر وعيني يملؤها الغضب !

***

كنت مازلت واقفا أمام القبر أنظر إليها والظلام يحيط بي عندما سمعت أصوات سيارات تقف بالقرب من المقابر وأصوات أشخاص تتشاور في شيء ما حتى اقترب الصوت كثيرا ورأيت والدي يقترب وبجانبه ثلاثة رجال يرتدون زي الشرطة ورجلان يرتديان الجلباب ويحملان رفشين ، والجميع يحملون كشافات صغيرة تنير لهم الطريق .. فوجيء الجميع بوجودي ولكن والدي وجه الكشاف على وجهي البارد ونطق اسمي بدهشة فسأله أحدهم عن معرفته بي فقال إنني ولده وإنني أعلم بأمر المقبرة ..

تجاهلني الجميع وقاموا بفتح قفل المقبرة بمفتاح والدي ودخل العاملان كي يحفرا مع تحذير والدي لهم بأن هناك جثة مدفونة حديثا يجب عليهم أن لا يقتربوا منها .. وبالفعل بدأ العاملان

بالحفر حتى سمعنا أحدهم يهتف بأنه اكتشف جثة متحللة بــلا رأس ترتدي جلبابا .. فنظر الجميع لبعــضهم الــبعض فقــط ليسمعوا صوت العامل الآخر بأنه اكتشف جثة أخرى بجانــب الجثة ذات الجلباب ، فدخل شرطي منهم للقــبر ليــشاركهما رؤية تلك الجثث.

هنا رآني الجميع وأنا أقترب من باب القبر وأدخل رأســي قليلا من الباب وأنا أشير بيدي لأحد أركان القبر وأمرت بأن يحفراه ..

نظر لي الشرطي للحظات بارتياب ثم أمرهم أن يحفــرا في نفس المكان الذي قمت بتحديده وهو ينظر لي بــشك مــرة أخرى.

***

بعد أن قال الشخص الذي كبل الشاب تلك العبارة وهــو يضع السكين على رقبته .. ذبحه من الرقبة جــاعلا الــسكين يذبح الوريد الودجي ثم تركه راجعا للخلف والشاب ينظر لهم وهو يحاول أن يمنع الدماء من التدفق ولكن أحدهم ظل يطعنه وهو يطلق الضحكات والجميع يشاركونه ، الشاب لا يــصدر صوت بل هي حشرجة وهو لا يصدق أنــه يــذبح .. نظــر للمعتدين جيدا ليرى من هم الذين تسببوا في قتلــه ، حفــظ وجوههم الكئيبة في ذهنه المشوش وهو يفارق الحياة

مازالوا يضحكون عليه وهو يحاول التشبث بأي شيء حتى سقط على الأرض وظل جسده يرتعش ببطء إلى أن خمـــدت حركته تماما وعيناه تنظران بفزع للفراغ ...

***

في تلك اللحظة تقريبا دخل والـــدي للمقـــبرة والعـــاملان يحفران في المكان الذي قمت بتحديده ، لحظات وارتفع صوت الضابط يقول بدهشة :

– جثة حديثة نسبيا مصابة بذبح في منطقة الرقبة وتمزق في الملابس في أكثر من موضوع يبدو أنها أثار طعنات .

هنا سمعت صراخ والدي من الداخل وهو ينطق باسمي.

دخلت أنا ببرود للمقبرة وأنا أنظر لأبي وهو يمسك الجثـــة ويصرخ والشرطي يحاول أن يفهم منه شيئا ، نظر لي الشرطي ثم نظر للجثة واتسعت عيناه فزعا وهو يكرر النظر بيني وبـــين الجثة ثم يتراجع إلى الوراء وهو يستعيذ بـــالله مـــن الـــشيطان الرجيم.

أما العمال فقد نظروا أيضاً للجثـــة ونظـــروا لي فأخـــذوا يستعيذون بالله من الشيطان وجرى الاثنان خارج المقبرة.

جثتي !.. تلك هي جثتي التي استخرجوها ووالدي يمسكها باكيا محتضنا إياها ودموعه تغرقها .. جثتي التي دفنها المعتدون

بعد أن قتلت يوم الخميس الماضي بعد رجوعي من دروسي وسيري في الطريق الزراعي.

دخل الذين يقفون بالخارج يستفسرون عن تلك الصرخات ولكني نظرت للشرطي وقلت :

- أكمل الحفر وستجد جثثا أخرى من بينهم جثة فتاة تم اغتصابها وقتلها وفتى آخر قتل .. هناك ثلاثة من مدمني المخدرات هم من يقومون بالقتل المنظم كل بضعة أيام عند الطريق الزراعي ويعلمون بأمر الكمائن قبلها عن طريق مخبر يدعى (محمد عبد الرحمن) يتشارك معهم بعض ما يسرقوه .. ممنوع على أي شخص الاقتراب من الطريق الزراعي الليلة هل تفهمني فهناك حساب قديم علي تصفيته ومن سيحاول منعي سأقتله بلا مناقشة .

لم يتكلم أحد حتى نظر لي والدي من بين دموعه وهو يمد يده لي ولكني تراجعت إلى الوراء قليلا ثم اختفيت من أمامهم.. فأمامي مهمة يجب أن أنهيها أولا !

***

ذبحه من الرقبة جاعلا السكين يذبح الوريد الودجي ثم تركة راجعا للخلف والشاب ينظر لهم وهو يحاول أن يمنع الدماء من التدفق ولكن أحدهم ظل يطعنه وهو يطلق الضحكات والجميع يشاركونه.

***

علامة سوداء على جانب رقبتي من الجهة اليسرى .. خط بارز قليلا يحتل مساحة لا تقل عن عشرة سنتيمترات بالعرض من منتصف رقبتي مرورا بالوريد الودجي ..!!! تلمست الخط بيدي لأجده بارزا قليلا ؟؟؟

***

الطريق الزراعي يغلفه الهدوء والظلام إلا من صوت ضحكات تأتي من داخل منطقة متطرفة من المزروعات يجلس بها ثلاثة شباب يدخنون المخدرات ويطلقون النكات البذيئة وهم غارقون في الضحك.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

انتبه الجالسون وساد الصمت بينهم وهم ينظرون لبعضهم البعض برعب لا يفهمون من أين أتى هذا الصوت ؟؟ فعاد الصوت مرة أخرى ليقول :

- هل تعلمون ؟.. لقد أتيت اليوم لأجلس معكم ونتسامر قليلاً !

في تلك اللحظة ظهر لهم (عماد) الشاب الذي قاموا بذبحه ليلة الخميس ودفنوا جثته في تلك المقبرة التي يقومون بدفن الجثث بها .. كان يقف أمامهم والدماء تنزف من جسده من مواضع الطعنات ومن رقبته وكأنه ذبح منذ قليل ولكنه ابتسم وقال بهدوء :

- وبمناسبة أننا سنتكلم كثيرا الليلة فأستأذنكم أن أدعوا بعض الضيوف القدامى لمجلسنا لكي تكتمل سهرتنا .. ضيوف أتوا من المقابر .

هنا سمع الجالسون أصوات أقدام تقترب من حولهم حتى ظهر أصحابها.

جسد ضخم بلا رأس ، فتاه ممزقة الثياب . شاب تسيل الدماء من جسده وإحدى عينيه مفقوءة ، رجل تسيل الدماء من رقبته ... وقف الجميع خلف الشاب الذي قال :

- مهمتي لم تكن قتلكم بل أنا كالجلاد الذي يعد المحكوم عليه للإعدام ، وهؤلاء هم الذين سينفذون الحكم .

وفي تلك الليلة أقسم جميع أهل البلدة أنهم سمعوا صرخات تأتي من الطريق الزراعي .. صرخات كأنها تأتي من شياطين سقر !

***

صوت أذان الفجر يُرفع والشرطي يقول لزميله :

- هؤلاء الثلاثة هم المسئولون عن حوادث الاختفاء في الأشهر الماضية من خلال المتعلقات التي وجدت مع جثثهم والتي تخص المفقودين ومن خلال اعترافات المخبر الذي قمنا باستجوابه منذ ساعة .. ولكن قل لي كيف سنمسك الجناة بالله عليك ؟

نظر الشرطي للجثث الثلاثة الممزقة بين المزروعات ثم نظـــر حوله وقال :

- لو ظللنا نبحث طوال حياتنا فلن يمكننا القبض على مـــن فعل ذلك .. فهم في ذمه الله !

- ماذا قلت ؟

- لا عليك ، أنا أقصد أن عدالة السماء هـــي الآن الـــتي يمكنها محاسبه الجناة .

نظر الشرطي مرة أخرى لزميله بشك ثم تركه ليتابع عمـــل خبراء المعمل الجنائي في حين أن الشرطي قـــد نظـــر خلفـــه وتركزت عيناه عند تلك النقطة التي وقف عندها عادل وهـــو يبتسم ويشير برأسه له .. فابتسم الشرطي وهو ينظر لعادل ثم قال في داخله (كل نفس ذائقة الموت).

وفجأة اختفى (عادل) ونظر الشرطي إلى السماء بحـــزن وهو يقرأ في داخله آيات من القرآن الكريم ...

حسن الجندي

حدث ليلا



تلبدت الغيوم الداكنة وطغت على الموجودات في السماء، ودوى هزيم الرعد ممزقا سكون الليل .. بينما أخذ البرق يتلوى كمجموعة من الثعابين النارية ، وهو يشق أجواز الغيوم ..

ثم هطلت الأمطار في غزارة لتغرق الطرقات ، وأسطح المنازل ، والسيارات التي تراصت بجوار الرصيف ، وسالت على واجهة منزلي الزجاجية ..

وقفت أتأمل الأمطار مستمتعا بمنظرها وهي تتقاطر ، والرياح الباردة تعدل من مسارها وتدفعها قليلا إلى جهة اليسار..

لا أعرف سر حبي للمطر ، ولا سر ولعي الشديد في أن أقف أراقبها وأتأملها .. ربما لتلك اللذة التي أستشعرها وأنا محصن داخل منزلي الدافىء ، والبرد والمطر يزئر في الخارج ..

تساءلت في فضول : ترى هل كل البشر محــصنين داخــل منازلهم ؟ أم هناك من يعاني من البرد والمطر في الخارج ؟

جاءني الجواب بأسرع مما أتخيل ، عندما شاهدت شبح فتاة تسير متسترة بالمنازل ، وكأنها تحتمي من السيول المنــهمرة .. لكن على ما يبدو أنها فشلت مع كل تلك المياة التي تتــساقط منها .. لم أستطع تبين شيء من هيئتها سوى بنطالها الجــينزي وذلك المعطف الأسود المصنوع من الجلد ، وشــعرها المبلــل والملتصق على جبينها ..

لمحت فجأة ذلك الشيء الذي يتلوى خارجا مــن بــاطن الأرض .. كان يبدو كالدخان .. دخان أســود كثيــف .. مقبض .. مخيف .. جعلني أشعر بخوف وفزع شديدين ..

اندفع ذلك الكيان الأسود الشيطاني الرهيب ، نحــو تلــك الفتاة – التي على ما يبدو كانت هاربة منه – التي حدقت فيه لحظات ، ثم أطلقت صرخة هائلة رجــت المنطقــة كلــها ، وأخذت تركض محاولة الهرب ..

لكن ذلك الكيان الشيطاني اندفع نحوها بسرعة خارقــة ، واختلط دخانه بجسدها وهو يدور حولها .. ثم ســرعان مــا جذبها بقوة رهيبة إلى تحت الأرض ..

كادت عيناي تخرجان من محجريهما وأنا أشـاهد الكيـان الأسود وهو يخترق أسفلت الطريق ، وهو يجذب جسد الفتـاة التي أطلقت صرخات مدوية عالية .. وشاهدت جسدها وهـو يغوص شيئا فشيئا في الأرض الأسفلتية - بطريقـة تنـافي أي عقل ومنطق - حتى تلاشى جسدها تماما ..

واختفى معها ذلك الكيان الشيطاني الرهيب .

* * *

تسمرت في رعب شديد ، وأنا لا أكاد أصدق عـيني .. ثم تنبهت فجأة إلى أنني وقفت كمتفرج و لم أحاول المساعدة بأية طريقة ..

لكن كيف كنت سأساعدها من ذلك الكيان المخيـف ؟ للأسف لا توجد طريقة أعرفها ..

لفت انتباهي شيء ملقى على قارعة الطريق وقد أغرقته مياه الأمطار ، حدقت فيه لكي أتبين كنهه ، لكنني لم أستطع التيقن من ماهيته .

جذبني الفضول لمعرفة ذلك الشيء ، وهل هو السبب فيما حدث للفتاة ؟ أم أنه سقط من شخص آخر ؟

لم أفكر كثيرا وهبطت من شقتي إلى الطريق الموحل المغرق بمياه الأمطار ، وذهبت رأسا إلى ذلك الشيء والتقطته بكفي ..

لم يكن شيئا ذا أهمية .. مجرد كتاب قديم ذي غـــلاف أســـود كئيب ..

أخذته وعدت أدراجي مرة أخرى إلى شقتي لأتأمل الكتاب في نور الردهة .. وجدت عنوان الكتاب غريبا بعض الشيء .. كان مكتوبا عليه (شمس المعارف الكبرى ج٥ جــزء خـــاص بكائنات العالم القديم) .. ظننت في البدء أنه مجرد موســـوعة للمعلومات على غرار الموسوعة البريطانية ..

وضعت الكتاب قرب المدفأة ليجـــف ، ودلفـــت أنـــا إلى حجرتي لأبدل ملابسي بأخرى جافة .. ثم بعد ذلك التقطـــت إحدى الموسوعات المتخصصة في علم الخـــوارق والغرائـــب ، وقمت بالبحث سريعا تحت حرف الشين ، لأجد ما يجعلـــني أتراجع في هلع وخوف شديدين ..

لقد كان التعريف المكتوب عن الكتاب كالآتي :

(شمس المعارف الكبرى : كتاب سحر كتبه (ابن البوني) يتكون من أربعة أجزاء ويعرفه كل من مارس السحر في الوطن العربي .. في بعض الدول العربية تصل عقوبة اقتنائه إلى حـــد الإعدام) !

* * *

لا أعلم هل أرتجف من البرد ، أم مما عرفته عن ذلك الكتاب المخيف .. أرجح أنه الكتاب .. لكن ما معنى الجزء الخامس؟! .. ما قرأته منذ قليل يدل على أهم أربعة فقط !!

ذهبت لعمل قدح من الشاي الساخن ، لأطرد به تلك الرجفة التي اعتلت أوصالي ، ولأهدأ قليلا وأستطيع التفكير بتعقل ..أخذت أتأمل نيران الموقد وأفكر في ذات الوقت عما حدث ؟

الأرجح كما هو ظاهر لي أن تلك الفتاة كانت تهرب من ذلك الشيء .. وأعتقد أيضا أن سبب ما حدث لها بسبب ذلك الكتاب ..

تملكني فضول قوي في أن أعرف ما تحتويه دفتا الكتاب .. لذلك أخذت قدح الشاي الساخن ، وذهبت أتلمس الكتاب لأجده قد جف قليلا .. ولا أخفي عليكم أن مزيجا من الرهبة والرعب تملكاني ، لكن فضولي تغلب على خوفي .. لذلك حملت الكتاب وذهبت إلى حجرة مكتبي ، المكونة من مكتب خشبي يعلوه الحاسوب القديم الذي أملكه ، ومقعد مكسو بالجلد .. وعلى الحائط تنتصب خزانة خشبية بواجهة زجاجية تحتضن داخلها ألوان شتى من صنوف الكتب .. جلست على مقعدي ووضعت الكتاب فوق المكتب وأخذت أتأمله مترددا..

– هل أفتحه لأرى ما به ؟ أم أتركه ؟ وماذا سيحدث إذا فتحته ؟

أعتقد لابد لي من قراءته لأعلم يقينا عما يحكي ، وأيضا قد يلقى الضوء على ما حدث للمرأة ..

ارتشفت قليلا من الشاي الدافئ..

وفتحت الكتاب ببطء ..

وبدأت أقرأ .

***

تحذير : أخطأت عندما قمت بكتابة هذا الملحق ، وهذا تحذير لمن يقع بين يديه .. هذا الملحق عن الكائنات الشيطانية القديمة المجهولة ، والطلاسم اللازمة لجلبها إلى عالمنا.. لقد ظننت أنني أستطيع السيطرة عليها لكني أخطأت .. أحذر من

(المقاوم) فإن هذا الملحق قادر على جلبه حتى لو لم تقرأ ما به من طلاسم أو تعاويذ .. احذر من المقاوم فهو سارق الأنفس وخاطفها إلى عالمه السفلي ..

أحمد بن علي البوني .

لا أخفي عليكم أنني وأنا أقرأ هذه الكلمات شعرت بخوف مبهم غامض .. وشعرت بجسدي وكأن الدماء تهرب من داخله ، وشعرت أن قدمي ترتعش وسخونة عجيبة تعتريها ، وجسدي لا أكاد أشعر به .. تساءلت في رهبة عن سر ذلك

الكتاب الملعون.. وهل ما يحدث لي يحدث حقا ؟ أم أنها مجـــرد أوهام خيلها لي البرد والليل والوحـــدة ؟ شـــرعت أقلـــب في صفحات الكتاب علني أجد ما يفهمني .. لكن طنينا عجيبا بدأ يدوي داخل أذني ، وحالة من الغثيان انتابتني .. تناهى إلى أذني صرير خافت يصدر من تجاه الصالة ، توقفت لحظات وأصغيت السمع .. لا شيء .. ربما صوت الرياح أو هي ألاعيب العقل الباطن ..

-: لماذا استدعيتني ؟ ستموت ..

دوت تلك الهمسة لتخترق أذني ، فتلفت حولي في هلع .. لا شيء أيضا .. هل أتخيل أم ماذا؟

لا شيء غير سكون الليل ، وقطرات المطر تضرب الزجاج في رفق ..

فجأة وجدت المقعد يتحرك .. نهضت في وجل لأراقبـــه .. لكنني وجدته ساكنا كما هو .. مجرد مقعد من الخشب المكسو بالجلد كأي مقعد آخر ..

لابد أن هذا من تأثير البرد والمطر الذي أغرقني .. لابد ..

بروووووووووم

اللعنة.. ما هذا أيضا ؟!

توجهت إلى الصالة حيث أتى منها الصوت .. وقفت في منتصفها متفحصا إياها .. من أين أتى هذا الصوت ؟

سأعترف أنني كدت أفقد الوعي من الخوف والهلع .. فما يحدث الآن داخل شقتي خارق للطبيعة ..

صوت آخر دوى في قوة ، جعلني أقفز في فزع .. هذه المرة أتى من حجرة مكتبي .. حيث الكتاب ..

تقدمت نحو المكتب في رعب وبطء شديد .. لو ظهر لي ذلك الكيان الشيطاني سأموت بسكتة قلبية على الأقل ..

مددت عنقي ببطء داخل المكتب ، ثم تشجعت ودلفت إليها ، لكن لا شيء أيضا و........

انفتحت النافذة بعنف شديد واصطدمت بالحائط ليتهشم زجاجها بدوي مزعج مزق سكون الليل ، واندفعت موجة شديدة البرودة إلى الداخل ، لتزيد من رجفتي ..

شعرت بدقات قلبي تدق في عنف ، وهتفت لنفسي : يكفي هذا الآن .. سأغادر هذه الشقة الملعونة ..

هممت بمغادرة المكتب عندما انغلق بابه في وجهي بمنتهى العنف ..

وهنا فقط بدأت الأحداث المرعبة ..

* * *

بدأ الأمر بمكتبي الخشب .. لقد وجدته يتزحزح على أرضية الغرفة وكأنه يزحف ، أو كأن يدا خفية تجذبه ..

ثم أخذ يهتز كورقة معلقة فوق غصن إحدى الأشجار .. يرتجف وأدراجه تندفع إلى الأمام وإلى الخلف .. و

وجدت ما بداخله من أوراق وأقلام وكتب تندفع إلى سقف الحجرة متبعثرة ، وكأن هناك من يلقي بها ..

ارتجفت أوصالي من الرعب والهلع ، وحاولت باستماتة فتح باب حجرة المكتب .. مرت ثوان كأنها ساعات حتى نجحت أخيرا في فتح الباب .. قفزت خارج الحجرة كالبرق ، لأجد خزانة الكتب تهوي خلفي محدثة دويا هائلا .. لم ألتفت لها وركضت تجاه باب الخروج ..

وبينما أعبر بجوار المرآة الموضوعة على جدار الممر المؤدي إلى باب الخروج ، وجدتها تتشقق بصرير مزعج مخيف ، ثم تهوي قطعا مهشمة ..

بعد ذلك بدأ المترل بالكامل يرتج وكأن زلزلا قويا قد أصابه ، وأخذ كل شيء يهتز من حولي وكأن الجنون قد أصابه.. المقاعد والمائدة .. الفراش وخزانة الملابس .. حتى أدوات المطبخ والموقد .. كل شيء كان يهتز بقوة ..

وفجأة..

وجدت شقا رفيعا يتسع ويمتد على الجدران ، ويمر بسقف الشقة ، والغبار والأتربة تتناثر .. تملكني هلع شديد وحاولت الركض خارجا ، لكن الرعب جمدني مكاني .. ولم أجد ما أفعله غير أن أغطي أذنيّ بكفيّ وأصرخ في هيستريا :

- كفى .. ماذا تريدون ؟

مع صرختي توقف كل شيء دفعة واحدة .. وهدأ المكان بشكل عجيب .. تأملت المكان حولي وتساءلت : هل انتهى كل شيء ؟

جاءني الجواب على شكل زئير شيطاني رهيب ، كاد يوقف قلبي عن العمل .. كان الزئير يأتي من خلفي تماما .. استدرت ببطء شديد لأرى مصدر الصوت .. ورأيته ..

كان شاهق الطول بحق ، حتى إن رقبته لمست السقف .. أما رأسه فكانت منحنية تجاهي ، ومحدقة في وجهي بعيون نارية متوهجة ..

سالت الدموع من عيني من أثر الرعب الشديد الذي تملكني، وتمتمت بصوت خافت مبحوح لا يكاد يخرج من فمي:

- ما أنت بحق الجحيم ؟

* * *

اتسعت أعين ذلك الكيان الدخاني في غضب ، وأطلق زئيرا وحشيا هائلا في وجهي مباشرة .. شعرت بلفح الهواء الساخن المنبعث منه يضرب وجهي في قوة ، ووجدت جسدي يطـــير بعنف شديد إلى الخلف .. ارتطمت بباب الشقة في عنـــف ، ووجدته ينخلع من مكانه ويهوي أرضا وأنا فوقه ..

نهضت وأنا أشعر بألم شديد ، لكني تحاملـــت بـــصعوبة .. يجب أن أهرب .. يجب ..

اندفعت أهبط درجات السلم ومازال الألم ينهش جسدي ، لكن كان علي إما التحامل والهرب أو الموت .. لا يوجد حل آخر ..

خرجت من مدخل العمارة إلى الطريـــق حيـــث الظـــلام والمطر.. وأخذت أعدو بكل ما لدي من قوة .. لا أعرف إلى أين سأذهب ؟ لكن لا بد لي من الابتعاد عن ذلك الشيء مهما كان الثمن ..

واصلت الركض وعقلي قد بدأ يفهم كل شـــيء ، هـــذا الكتاب أو المخطوطة اللعينة صحيحة وقادرة فعلا على جلب هذا الشيء المرعب ..

ما العمل الآن ؟ هل سأستطيع الهرب والخلاص ؟

تلفت حولي بحذر حتى لا أنزلق على الأرض المبللة بالمطر ، لكني لم أجد له أي أثر .. أبطأت قليلا وأنا أتساءل أين ذهب؟ وفجأة ..

وجدته يندفع من باطن الأرض في سرعة هائلة متجها نحوي.. أخذت أركض بكل قوتي وأنا أصرخ فزعا .. حتى لمحت مسجدا قريبا وأبوابه مفتوحة على مصراعيها .. هذا هو الخلاص ..

توجهت على الفور إلى المسجد وأنا أدعو الله في سري أن أنجح في الهروب .. لكن ذلك الكائن الضبابي ظهر فجأة وحال بيني وبين المسجد ، محاولا منعي لكي يسحبني إلى عالمه السفلي..

وقفت أحدق فيه وأنا أرتجف من الرعب ، وأنتظر ردة فعله.. ولكن ما فعله كان عجيبا !!

* * *

وجدته يفرد ذراعيه وجسده الدخاني ينساب خلفه كجناحي طائر عملاق ، وفي ذات الوقت أخذ جسده يتمدد ويزداد حجما .. ثم ارتفع قليلا عن الأرض ، واشتعلت عيناه فجأة بلهب مستعر وكأنهما فوهتا بركانين .. ثم اندفع نحوي بكل قوته .. تسمرت مكاني لحظات ، لكنني وبصعوبة أقرب

إلى المستحيل سيطرت على جسدي وانحنيت بسرعة بالغة ، لأجد ذلك الكيان الشيطاني يعبر من فوقي كطلقة الرصاص مطلقا زئيرا مرعبا للغاية ..

اندفعت كالبرق نحو المسجد ودلفت داخله وقلبي يكاد يقف من سرعة ضرباته .. ثم استدرت للخلف لأراقب ذلك المخلوق ، وأنا أدعو في سري أن تمنعه قدسية المكان من الدخول ..

طار ذلك الكيان المرعب لأعلى وأخذ يحوم قليلا ، ثُم انقض كالصقر تجاه باب المسجد ، ولكن ما حدث أدهشني بحق..

أثناء انقضاضته ارتد فجأة للخلف وكأن شيئا خفيا يمنعه .. وقف لحظات يحدق في بعينيه الناريتين .. ثم انقض مرة أخرى، لكنه أرتد للخلف في عنف شديد جعله يزأر في شراسة مرعبة..

تساءلت في أعماقي هل سيذهب بعيدا عني ؟ لكنه لم يبتعد وأخذ يدور محلقا وكأنه يبحث عن طريقة للدخول..

تعالى أذان الفجر فجأة ..

شعرت وقتها براحة نفسية هائلة وأحسست بالأمان ، ونظرت إلى ذلك الكيان الدخاني المرعب ؛ لأجده

يسد أذنيه بكفيه ويصرخ بصوت عال رهيب ، وكأنه أنين قطيع من الفيلة يتم ذبحها في وحشية ..

وانتهى كل شيء ..

تلاشى ذلك الكائن الضبابي المخيف ، وتبـدد جسده في الهواء لتزروه الرياح وكأنه لم يكن ..

لم أصدق ما حدث .. ولم أصدق أنني قد استطعت أن أنجو بحياتي من هذا الشيء .. تأملت قطرات المطـر الـتي هـدأت وأصبحت في طريقها للتوقف ، ثم يممت وجهي شطر القبلـة وركعت على الأرض ساجدا لله أحمده على فضله وعلى نجاتي من مصيري المرعب .. ظللت ساجدا لحظـات وأنـا أبكـي خشوعا وإيمانا وطمأنينة .. ثم نهضت لكي أتوضأ لألحق بصلاة الفجر ..

علاء محمود

كانت تعرف



١

لكم أخاف منهم .

أدخل غرفتي متوجسا، أرتجف، أجلس وحيدا، أحـــاول أن ألعب، لكني أجد نفسي كل بضع ثوان أتلفت حولي حذرا..ثم بعد قليلٍ أراهم..

أسرع خارجا من الحجرة..ينظر أبي وأمي نحوي بنظـــرات غريبة، لكنني لا أستطيع أن أحكي لهم ما يحدث..

أراهم كثيرا، لا أعرف من هم، أو بالأحرى ما هم؟

أخاف منهم، وأسرع هربا ..وحين يأتي الليل يبدأ المـــرح الحقيقي (بالنسبة لهم!)..

أراقبهم أمامي. هم أناس عاديون، لا أعرف حقا ما يخيفني فيهم.. ربما تلك الشفافية الغريبة التي تميزهم كـــأنهم أشـــباح

رُسمت بخطوط بيضاء أو رمَادية.. ربما نظراتهم الغريبة التي تخترقك، فتشعر بها تنفذ لصدرك، لتبعث بك القشعريرة الباردة..

عقلي الطفل لا يعرف شيئا في تلك اللحظة إلا الهرب. ولا أجد نفسي ساعتها إلا في غرفة أبي وأمي.. أقف هناك صامتا، راجيا بلا كلمات أن يأذنوا لي بالنوم بجانبهم.. يزجرني أبي، لكن أمي تأخذني بجانبها.. أشعر بحضنها الدافئ فأطمئن، أنظر نحو وجهها فأشعر بها تعرف شيئا، وتخفيه..

أكرههم.. لا أعرف.. هل أنا وحدي أراهم ؟

أحيانا أروح لأمي، أحاول أن أحكي لها، فلا أستطيع، أخجل ، أخاف أن يسخروا مني ، و يتهموني بالجبن أو الهلوسة..

لكنني متأكد مما أرى.. لا أدرك حقا ماذا يحدث.. أراهم في كل مكان في البيت، ولا مهرب..

٢

أعرف ما بك يا بني، وقد حرت هـــل أكلمـــك فيـــه، أم أتركك تقتنع أنها مجرد خيالات أطفال ..

وكيف لي ألاّ أعرف وقد ابتليت بتلك الـــ.. لست أدري ماذا أسميها! لست أدري أهي هبة أم ابتلاء!

إنني من القليلين جدا الذين يرون هؤلاء القوم. لو أحكـــي لك يا بني عما رأيت في سنين عمري الأربعين لما صدقتني .

أعرف يا بنيّ ما يخيفك في لياليك . أعرف مـــا يجعلـــك لا تستطيع النوم كلما دخلت إلى حجرتك ..

أعرف أيضا أنك وحدك في هذا البيت الذي يرى ما أراه ، ويعرف ما أعرفه .. وكلانا صامت لا يحكيه أبدا!

عندما كنت صغيرا جدا في سنواتك الأولى ، رأيت فيك ما أدركت معه أنك ستكون كما أمك ، وستراهم حين لا يراهم غيرك..

أذكر تماما تلك المرة التي كنت وقتها لم تتعـــد ســـنواتك الثلاث، وكنا نسير سويا بالشارع حين قلت لي مذعورا:

" يا أمي ستطيح بنا سيارة الآن".

ونظرت لك، وقد اتسعت حدقتيّ للفكرة الرهيبة، ورددت عليك :

" لا تخف يا بني، لن يصيبنا شيء؛ فنحن على الرصيف ".

لم تمر أكثر من دقيقتين، وإذا بسائقٍ مخمورٍ يصدم الرصيف بسيارته ، وكدنا نلتصق بالحائط من الرعب، ولولا أن كتب الله لنا النجاة لتحققت نبوءتك !

أذكر أنني وقتها فكرت كثيرا، وخفت عليك من تلك الشفافية التي أعرف تماما أنها ليست شيئا مريحا.

هل تذكر يا بني حين كنت تقول لي أن أحدا قد قال لك إن أخيك سيمرض؟

هل تذكر حين كنت تقول لي :

" لقد وصل أبي إلى باب العمارة ".

فأضحك منك، ثم لا تمر فترة بالكاد هي لصعود السلم، وأجده يفتح الباب! منهم مرة كان مسافرا، و لم يكن يُتوقع أبدا أن يجيء، ولكن تنبؤك أصاب أيضا.. فكنت أنظر لك وشكوكي تزداد، وتقترب من اليقين .

والآن .. لم أفترض قط أن يحدث ما يريب في ذلك المسكن الذي اتخذناه لنا مؤخرا، فهو في عمارة مأهولة والناس تتتابع عليه مستأجر وراء آخر..

مرت ليالٍ قصيرة من الهدوء ثم بدأوا يظهرون .. رأيتهم يعيشون حياتهم كأنما لا يعنيهم من أمرنا شيئا. صغارهم يلهون في مياه الحوض ، ورجُلهم يشاركنا جلستنا في غرفة المعيشة، ويراقبنا بنظراته الحادة في صمت..

لم يبدر منهم ما ينبيء بكينونة شريرة .. لكنني لن أئتمنهم أبدا فلو أن فيهم خيرا لما تبدّوا لنا ..

لم أقل أي شيء لأبيك ؛ فلم يكن في يده شيء.. فقط تمسكت بمصحفي ..

أضحك حين أذكر عندما كان يدخل لينام بعد أن يطمئن أنك وأخاك قد نمتما في حجرتكما، ثم يقوم فجأةً وهو غاضب، قائلا :

" من هذا الذي خرج إلى الصالة؟ ".

فأجذبه قائلة :

" لم يخرج أحد .. تعال ونم ! ".

فيشد يده، ويذهب مؤكدا أنه رأى أحدكما خارجا، فأيأس منه وأتركه، وأنا على يقين من عودته فارغ الجعبة .. ويعـــود ليقول :

" لا أحد ! ".

فأبتسم وأقول :

" ألم أقل لك! ".

أما أنت يا صغيري فلم يكن بيدي أن أفسر لك ما تراه .. كنت أراك حين تدخل غرفتك لا تستطيع البقاء فيها وحـــدك أبدا .. كنت تطلب دوما النوم بجانبي فينهرك أبوك ولا أستطيع أن أشرح له، وكذلك لا أستطيع أن أؤيدك كيلا تغرق في تلك الأفكار؛ فلا زلت صغيرا وسيكون الأمر قــاسٍ جـــدا علـــى عقلك، وقد يذهب بنفسك في طريق لا أملك إلا الدعاء بـــأن يحفظك الله منه.

لطالما احترت بين تكذيبك وأنت موقن بصدق مـــا تـــراه، وبين أن أريحك وأقول لك إني أعرف ..

وكان الأمر يتوقف عند مرحلة البين بين ..اقرأ يا صـــغيري تلك الآيات دوما قبل أن تنام .. هأنذا بجانبك فنم ولا تخف .. إذا جئتني ليلا لم أكن لأصدك قط ، كما كانت تفعل أمـــي؛ فإنها لم تكن تعرف، ولكنني أعرف ..

الآن يا ولدي حين رأيت ما كتبته عن تلـــك الـــذكريات، وعرفت أن كل ما كنت تراه حقيقي.. وعرفت أنـــني كنـــت أعرف.. فطرت قلبي ببكائك، رغم أنك شارفت على طـــولي، ويكاد شاربك يخط في وجهك.. لكن يحق لك البكاء بالتأكيد، بل إنك يا بني أقوى من رجال قد فُتلت عضلاتهم لم يكونـــوا ليحتملوا أن يروا ما رأيته.. نعم أضمك إلى صدري وأقول لك لم تكن واهما، وأن تتذكر جيدا فلم أكذّبك يوما.. فقط كـــان يجب ألا أُفزع طفولتك.. لكن الآن لا أقلـــق عليـــك حـــين تعرف.. على العكس، ربما يزيدك ثقة في نفـــسك وعقلـــك، وأنك لم تكن قط صريع خيالك..

نعم يا ولدى كنت أعرف.. ولا زلت أعرف الكثير.. وربما أنت أيضا تعرف الكثير مما لا أعرفه.. ولكنك الآن تعرف أيضا أنك الأقوى.. وأنهم مجرد صور أمامك، أنت الأقوى منـــهم، طالما تدرك ذلك، و طالما أنك مع الله وأنك تثق أن الله معك.. لن يؤذوك، بل ربما يكونون هم من يرهبونك.. فقط تذكر..

وربما ترى يوما في ابنك ما رأيته فيك..فأوصيك.. أوصيك بحسن التصرف في الأمر؛ كي تجعله هو الأقوى دوما..فـــإنهم قومٌ إمّا أن تكون الأقوى، أو يخضعونك وتكون المصيبة.

حفظك الله وكفاك تلك المعرفة، فربما ليس كل بصيرة خير، ولا كل علم يريح.

٣

بنظرات خاوية نظرت نحوها – أمي – حائرا، خائفا..

اليوم.. فقط اليوم.. أدرك الحقيقة..

ارتجفت من هول الفكرة.. أكل ما كنت أراه حقيقةً؟ كم كنت أتمنى ألا يكون كذلك! كم كنت أتمنى أن يظل احتمال أن يكون كل شيء خيال في خيال، موجودا، فأحمي به نفسي من ذلك الرعب الرهيب.

تذكرت كل شيء منذ البداية، كل شيء.. تذكرت ذلك الطيف الأسود الذي ظهر لي من قبل، هامسا وهو يلهو برأسي، فأراه في كل مكان:

" ستنتهي أيها الفتى، ستنتزع سيارة قادمة حياتك منك ".

تذكرت أطياف الأطفال الباهتة، وهي ترقص وتهلل، وهي تخبرني بمجيء أبي!

انفجرت في بكاء هستيري، لم أعرف أأكون مرتاحا لكوني أخيرا تأكدت أن عقلي سليم وأنني لم أكن واهما، أم أرتعب من حقيقة الواقع المخيف، المؤلم، الذي أدركت أنه قد أحاط بحياتي.

لن تصبح حياتي عاديةً بعد تلك اللحظة.. على الأقل في نظري..

لكنني سأستمر في حياتي كما استمرت أمي في حياتها، بصورة كنت أراها طبيعية جدا، قبل أن أعرف..

منذ الآن أدرك أنني سأراهم – هؤلاء القوم – ربما لبقية حياتي، لكنني لن أسمح لهم بأن يلقوا ظلالهم السوداء عليها.. منذ الآن أعرف أنني يجب أن أتمسك بمصحفي، أن أقوى علاقتي بربي.. يجب عليَّ أن أجاهد، أن أرفض الخضوع لهم..

ستكون حربا، وإن غفلت عن علاقتي بربي للحظة، فربما تصادف تلك اللحظة لحظةً يرقبونني بها فيأخذونني في غفلتي ولا تقوم لي قائمة.

وضعت كفيّ على وجهي، ووسط كهوف الخوف من المجهول، التي لا أعرف لها بداية، ولا نهاية، استطعت أن ألمح – بطرف عيني – ظلا باهتا رهيبا..

وعلى ثغره ابتسامة ساخرة، متحدية..

٤

بضع وثلاثون عاما هم عمري الآن..

أحمل طفلي الجميل وألقيه في الهواء..

تعلو ضحكاته وتأتي أمه لتقول لي:

"تخيل ما حكاه ابنك لي اليوم".

رددت وعيناي مثبتتان على طفلي:

" وهل صدقته ؟".

" ماذا أصدق . إنها خيالات أطفال! ".

و ابتسمت..

* * *

إسماعيل خالد وهدان

العجوز

لم يكن يمثل لي أي شيء.. لم أكن أحبه أو أكرهــه بــل لم أكن أفكر به إطلاقا..إنه واحد آخر لا تستطيع أن تتوقف أمامه طويلا، لكنني إذ أصفه أستطيع أن أقول إنــه كــان عجــوزا لطيفا..رمز حقيقي للرجل المسالم؛ مسالم أكثر من اللازم ربمــا كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يميزه.. يحيا حيــاة قطيعيــة هادئة؛ لديه قدرة هائلة على التحكم في الأعــصاب، وتجــاوز سخافات الآخرين..حتى عندما كنت أراه سائرا في الــشارع أجده منكمشا على نفسه؛ يسير بجوار الحائط بــالمعنى الحــرفي للكلمة..

كما قلت لم يكن هناك ما يجعلني ألتفــت إلى وجــوده أو أهتم به حتى بدأت تلك الأصوات الغريبة تصدر من حجرتــه ليلا؛ عندها بدأت أشعر بالقلق..شيء لا أفهمه يرتعش بداخلي عندما يتسلل ذلك الصوت إلى حجرتي؛ صوت غريب مبهم لا أستطيع وصفه؛ يبدو أحيانا كمزيج مــن عــدة أصــوات لا تستطيع تمييزها أو فصلها عن بعضها..أحيانا كــان الــصوت يتخذ طابعا وحشيا غريبا؛ كصراخ كائن أسطوري في غابــة

مظلمة بعيدة..أحيانا أخرى كان يبدو كصوت شخص يئن أو زئير خافت لأسد جريح، وعندها كنت أشعر أن طبقات الصوت ترتعش ارتعاشا غريبا كأن الصوت ذاته يتألم..

عادة ما كنت أتجاهل تلك الأصوات، أسد المسام التي يتسرب منها الخوف إليّ رافعا صوت المذياع لتغطي ضوضاؤه على كل صوت عداها، لكنني وبمرور الوقت بدأت أهتم؛ فيروس الفضول اللعين يتسلل إلى دمي ويوقظ بداخلي الرغبة في أن أعرف..النار المقدسة تغريني بسرقتها..تغريني بكل جبروتها وسطوتها..ولا أستطيع سوى أن أستجيب..

شيء آخر أجج الفضول بداخلي؛ فبينما أكون عائدا من إحدى جولاتي المسائية في أمسيات الصيف الحارة، أرى نوافذ حجرته مغلقة..على الرغم من كونه بالداخل كما كنت أعرف..لَمَ يجلس في هذا الحر الخانق؟..ما الذي يخفيه ويخشى أن تظهره النوافذ أو............يخشى هروبه..ليتني أعرف..نيران فضولي تتصاعد إلى السماء..وفي النهاية كان لابد وأن أحترق..

***

وكان الشجار؛ عندما سمعت الضجة خرجت لأستطلع الأمر فرأيت ساكن الطابق الثالث؛ غليظ الصوت، والملامح، والطباع يمسك بتلابيبه ويهزه هزا، و............ولم يتطور الشجار أكثر من ذلك..كان أقرب إلى شجار من طرف

واحد.. لم ينطق هو بكلمة.. فقط ابتسم ابتسامة باهتة، واعتذر للرجل عن شيء ما لم أتبينه، ثم انسحب بهدوء إلى حجرته..

أغلقت أنا الآخر باب حجرتي، وحاولت العـودة إلى مـا كنت أفعله قبل أن يقاطعني ما حدث، لكن الأصوات الصادرة من حجرته أبت عليّ ذلك..

ليلتها اتخذت الأصوات طابعا رهيبا أكثر مـن أي وقـت مضى؛ عواء شياطين تتلوى في الجحيم..صرخات العنقـاء في الأزمنة السحيقة..شيء يتجاوز الوصف والكلمات..جمـدني الخوف للحظات..لكن الفضول- الفـضول اللعـين- عـاد يحركني..

نهضت متسللا على أطراف أصابعي، ووقفت أمـام بـاب حجرته..أجفلت للحظات من عنف الصوت الـذي أخـذ في الارتفاع شيئا فشيئا ثم مددت يدي المرتعشة وطرقت الباب..لا أحد يجيب..طرقت بإلحاح أشد..كأن يدي تحررت وحدها من قبضة الخوف أصبحت تتصرف بشجاعة غـير عاديـة..ازداد الصوت وحشية وفظاعة، ويدي مازالت تطرق الباب..وانفتح الباب..

ظهر هو من ورائه بوجه شـاحب مرهـق تـصفد منـه العرق..ترنح للحظات وهو يتعلق بالبـاب ثم حـرك شـفتيه الجافتين ببطء، وقبل أن ينطق بكلمة سقط مغشيا عليه..

انـــــدفعت باتجاهــــه لأنقــــذه مــــن ســـــقطته و...............رأيت الهول؛ اهتز جسده المــسجى فجأة اهتزازا عنيفا وبدأت كيانات سوداء غريبة تخرج منــه؛ أشباح مريعــة لهــا صــوت كعــصف الــريح انــدفعت نحــوي..تراجعــت بظهــري إلى الــوراء..وانــدفعت إلى الدرج..أشعر بأطرافي الباردة تترجرج، ومن ورائي كنت أسمع صفير غضب الأشباح الناري يطاردني..كــأنني في كــابوس حقيقي؛ مجسم؛ ثلاثي الأبعاد..

استطاع واحد منها اللحاق بي..لمحت هيئته المشوهة، الذائبة الملامح.. تصلبت..صدمني بعنف في كتفي..سقطت متدحرجا على الدرج..دمت شفتي السفلى لكنني لم أهتم..لملمت بقاياي المبعثرة، ونهضت مواصلا فراري التاريخي..

سمعت أبواب الشقق الأخرى تفتح..يريدون أن يعرفوا مــا الذي يحدث؟..ليعرفوا إذن..سمعت الصراخ والعويل والأجساد المتدحرجة من ورائي..أجري..وأتعثر..أنهض، وأجــري مــن جديد..اندفعت على وجهي في الشارع المظلم..البناية تبتعــد وتغيب في الظلام وأنا أواصل جريي المحموم..كــل مــن رآني حسبني مجنونا؛ حافي القدمين..أرتدي منامة منزليــة متــسخة، عيناي مذهولتان، وأصرخ بلا انقطاع..وأجري..أعلم جيــدا أنني ابتعدت كثيرا لكنني مع ذلك لا أستطيع أن أمنع نفسي من

مواصلة هربي الجنوني..أهرب..وأهرب..ناسيا كل شيء كـــان لي هناك.. ناسيا حتى من أكون..لم أجسر علـــى العـــودة إلى هناك قط..فيما بعد صرت أتنسم الأخبار من بعيد.. عرفت أنه ما زال يعيش هناك وأنه لا يذكر إطلاقا شيئا عما حدث..وأنه مازال كما هو الرجل المسالم الهادئ..لكن أحدا لم يجسر مـــن وقتها على إغضابه قط..

هبة الله محمد حسن



بيت قديم

البيت القديم في مكانه ينتظر..لا ينتابه الملل أو الـــضجر..لا يحلم بالانتقال إلى حي أرقى أو أن يفرش بأثـــاث أوثـــر..لـــو يستطيع أن يمتلك هدوء باله وراحته..لو يستطيع..لكن نقوش البيت وسلالمه الحجرية تقول إن من عاشوا هنا في هذا البيـــت كانوا مثله..يمتلكون خلو البـــال ذاتـــه وعـــدم الإحـــساس بالزمن..لكن الزمن كان يحس بهم..أحس بأنهم بقوا أكثر مـــن اللازم وقرر أن وقت الرحيل قد حان..ربما ابتسموا في هـــدوء دونما اعتراض كما فعلوا طوال حياتهم..وهذا هو ما جاء به إلى هنا..ترك شقته الحديثة المجهزة الخالية من الروح..وجاء يبحث عن روح هذا المكان وهدوئه وصفائه..قدم البيت أكسبه لونـــا من الإنسانية والألفة..كأنه يحس ويشعر وربمـــا يتـــألم لأنـــه وحيد..نعم.. إنه ليس مثل شقته..الباردة الميتة..صعد الدرجات المغبرة وترك آثار أقدامه عليها دليلا على أنه هنا..دس المفتـــاح

في فتحة الباب العتيق الذي انبعث منه صـــرير محبـــب كأنـــه يحييه..بهرته نقوش المترل الرائعة..تأملها..ومرر أنامله عليها في رقة..شاهد من ذلك الزمن الجميل..عندما كان الناس يملكون الوقت والخيال الكافيين لصنع كيان رائع مثل هذا..كان قـــد ورث ذلك المترل القديم عن جده..فقد مات والده منذ زمـــن بعيد دون أن يخلف وراءه شيئا سوى علة القلب التي ورثهـــا عنه..في الواقع لم يكن من حقه أن يرث شيئا لولا أن كتـــب الجد المترل باسمه هو بالذات..هدية رقيقة رأى الجد أن يتركها لهذا الفتى الوحيد البائس..رحل جده منذ زمن عقـــب والـــده بفترة قصيرة ولكن الآن فقط صـــار مـــن حقـــه أن يتـــسلم المترل..بدا له كل شيء مغلف بضباب خفيف كأنـــه غبـــار الذكريات التي تعبق المكان..وضع حقائبه على المقعد وخلـــع معطفه وقرر أن يستكشف المكان وهو ينظفه..هـــم بـــإخراج رداء مترلي من حقيبة الملابـــس عنـــدما سمـــع طرقـــا علـــى الباب..فتحه فطالعه وجه مجعد لامرأة عجوز..بـــدت المـــرأة ودودة جدا حتى إنه أحس أنها هي من رحبـــت بـــه ولـــيس هو..وقف حائرا لا يعرف ماذا يقول لهـــذه المـــرأة الـــتي لا يعرفها..لكنها دخلت على الفور وجلـــست قبـــل أن ينطـــق بكلمة..ظلت تحدق في صور الجد المعلقة على الحائط..خمن أنها

كانت تعرف جده وأنها جاءت لتعزيه ربما أو لترى ساكن المترل الجديد..

- ماذا تحبين أن تشربي؟

قالها مترددا وهو يعرف أنه ليس لديه ما يقدمه لها فقد وصل لتوه.

- شكرا..لا داع..سأنتظرهن..سيصلن حالا..

- عفوا..من هن؟

- الأخريات..صديقات قدامى..

كأنها فسرت كل شيء بعبارتها الملغزة.. لذا فعادت تتابع:

- نسيت أن أقدم لك نفسي..أم محمد..

رفع حاجبيه في دهشة مفتعلة قائلا:

- هل أنت حقا؟..لقد حدثني جدي عنك كثيرا..

بالرغم من أن جده لم يفعل هذا إطلاقا..قالها فقط ليجد بابا للحديث ولدهشته وجدها تقول:

- هل فعل؟..هذا غريب!!!

لم يكن هذا هو الغريب بل هي..لم يقابل امرأة أغرب منها..صمت للحظات قبل أن يتذكر النسوة القادمات التي

أخبرت عنهن فتركها تحدق في صور الذكريات..وتسلل ليشتري كيسا من البن من البقال المجاور..عاد ليجدها لا تزال تراقب الصور باهتمام شديد كأنها تفحصها..فكر في أن جده ليس نجما سينمائيا كي تولي المرأة صوره كل هذا الاهتمام..هز كتفيه وذهب إلى المطبخ ليصنع لها فنجانا من القهوة عندما سمع الطرقات على الباب..لقد وصلت بقية الوفد النسائي..فتح الباب ودخلت النساء..منهن من ترتدي البياض ومنهن من ترتدي السواد..كأنهن لم يعرفن الألوان بعد..وقف مذهولا يراقب النساء مختلفات الأعمار يدلفن إلى الردهة..الغريب أن بعضهن كن شابات وهناك طفلة صغيرة كانت تسير خلفهن..لم يستطع أن يميز ابنة من هي..هل كان جده دون جوانا..هكذا فكر..من أين عرف كل هذه النساء؟..لوهلة خطر له خاطر ساذج عن كون جده لم يتزوج..إذن فكيف أنجب والده الذي بدوره أنجبه..كان سبب هذا التفكير أن جدته ماتت في سن صغيرة ولم تكن لها سوى صورة وحيدة في غرفة النوم..

جلس محرجا على طرف أحد المقاعد يدور بعينيه في دهشة بينهن..لفتت نظره شابة جميلة..حول نظره عنها بسرعة لأنها كانت جميلة بالفعل..حك مؤخرة رأسه وهو يفكر" أكانت هي الأخرى إحدى صديقات جده"..يا له من رجل!!..عاد يلوم نفسه على سوء الظن..لعلهن جاراته..ليتخلص من حرجه قام ليحضر لهن القهوة لكنهن لم يقربنها على أية حال..لم

يتحدث أحد سوى المرأة التي جاءت وحدها في البداية..أخذت تعرفه بأسمائهن..اهتم بأن يعرف اسم الفتاة الجميلة الهادئة وإن حاول ألاّ يهتم..ساد صمت مميت لفترة طويلة بعد ذلك.. ذلك الصمت الذي يعني انتهاء الزيارة غالبا..حاول محاولات مرتبكة أن يجد موضوعا للحديث..لكنهن بقين على جمودهن..يحدقن في اللا شيء..أخيرا انصرفن..تنفست الصعداء..الآن فقط يستطيع أن يخلو إلى البيت القديم..

***

في اليوم التالي قرر أن يستكشف المنطقة ويتعرف بأماكن بيع الأشياء وربما على بعض الجيران..اتجه إلى حانوت البقال عندما رأى الفتاة الجميلة التي جاءت مع النساء بالأمس..لسبب ما بدت له أكثر شحوبا وهي واقفة هناك تنتظر أن يجلب لها الرجل ما تحتاجه..أيحادثها؟..بدت له الفرصة لا تقاوم..

- صباح الخير يا آنسة.......

ضغط على اسمها الذي كان قد عرفه..رفعت الفتاة حاجبيها في دهشة قائلة:

- هل تعرفني؟

- لقد كنت في بيتي بالأمس أنت و.......................

- أنت قليل الأدب.

- لم أقصد........

قالها وهو يتراجع في حرج مندهش وقد احمر وجهه ولم يعرف ماذا يقول..هنا تبرع البقال ليقول:

- هل هناك مشكلة يا آنسة؟

قال كلاما كثيرا مرتبكا عن سوء تفاهم حدث وانسحب على الفور قبل أن يحصل على علقة ساخنة..إن الفتاة غير طبيعية..ربما..أو لم تلاحظه بالأمس لكن هذا صعب جدا لأنه كان مستقبلهم الوحيد..قرر أن يختفي بعض الوقت عن المنطقة حتى ينسى هذا الأمر..رأى أن يمر على شقته القديمة التي لم تزل كما هي..سيبقى بها قليلا..عندما هم بالصعود إلى شقته سمع صوتا يناديه..كان عم علي البواب..لسبب ما كان يحب هذا الرجل..يختلف كثيرا عن شخصية البواب اللزجة الشهيرة..بعيدا عن الدرف التي كان هو بالنسبة له أقرب إلى أب آخر عوضا عن الأب الذي فقده وهو بعد صغير..كم من ليال قضاها جالسا يتسامران في الليل مع أكواب الشاي الأسود..بدا الله أكثر وهنا وعكازا هذه المرة..جذبه الرجل من ذراعه ليحتضنه..شعر بالدهشة فلم يغب لوقت طويل..ليلة واحدة هي كل ما قضاها خارج شقته..أسرع يقول:

- سآتي من آن لآخر إلى هنا وسأترك لك عنوان المترل الجديد لتزرني هناك.

قال وهو يجلس:

- إن كانت في العمر بقية إن شاء الله.

شعر بأن الرجل حزين من شيء ما..لذا جلس معه بعض الوقت يسأله عن أحواله..تناولا معا عشاء من شطائر الفول وأكواب الشاي..نظر إلى ساعته فوجد الوقت قد تأخر فآثر أن يعود ثانية إلى المترل..سار في الشوارع المظلمة يترنح قليلا..شعر بأنه ليس على ما يرام..ربما أكثر من الأكل فقد شعر بثقل ما على معدته..سيأخذ شيئا لمساعدته على الهضم عندما يعود..مر على صيدلية قريبة أخذ منها الدواء..وعندما وصل إلى المترل وجد المزيد في انتظاره..معارف جده الذين يبدو أنه لا نهاية لهم..مجموعة كبيرة من الرجال عليه استقبالهم في هذه الساعة وهو يرغب في النوم بشدة..حاول أن يكتم تثاؤبه كيلا يبدو عديم الذوق خاصة وقد بدا أنهم قد انتظروه فترة طويلة..فتح الباب ودعاهم للدخول..دلف الرجال واحدا وراء الآخر ولدهشته وجد عم علي يدخل أيضا عندما هم بإغلاق الباب..قال وهو يبتسم:

- هل اشتقت لي بهذه السرعة؟..

- فعلا.

ابتسم لإجابته..سيكون شيئا جيدا أن الرجل رأى أن يقضي معه الليلة..ولكن من سيحرس العمارة..هذه مشكلته هو على أية حال.. لم يجد مقعدا خاويا فذهب إلى الحجـــرة وأحـــضر واحدا ليجلس عليه عندما سمع الصرخات تخترق المكان.

***

الصرخات الكئيبة التي يعرفها جيدا تتردد بطول الـــشارع وعرضه..أطل من الشرفة ليرى ما توقعه تماما..سمع أن إحـــدى الجارات وجدت ابنتها ميتة على مقعدها..كاد أن يدخل لـــولا أن طرق الاسم أذنه..إنها الفتاة الجميلة ذاتها التي زارته بالأمس ونهرته اليوم..أبهذه السرعة انتهى الأمر؟..ولكن ما له يتـــرنح هكذا ويشعر بذلك الثقل يضغط على صدره..مد يده يبحـــث عن أقراص القلب بينما بدأت عيناه تتخيلان أشياء غريبة..رأى ضيوفه وقد تحلقوا حوله صامتون..مد يـــده إلـــيهم يطلـــب المـــساعدة لكـــن أعينـــهم تجمـــدت في نظـــرة ميتـــة لا تتحرك..تبا..فجأة وجد يد عم علي تمتد وتـــدس قرصـــا في فمه..خيل إليه أنه غاب عن الوعي لحظات ثم أفاق كيلا يجـــد أحدا منهم معه في الحجرة التي كان مكوما على أرضها..نهض بصعوبة وخرج يبحث عنهم..لم يكن هناك أحد..باب الـــشقة مغلق ولا أثر لأي شخص..أتراه جن؟..هل كل ما حدث كان

هراء..وأين عم علي الذي أنقذ حياته؟..لم يعرف قط..قرر منذ ذلك اليوم أن يهجر المترل الذي بدا له مفزعا جـــدا..ملوثـــا بشيء ما لا يعرف كنهه..عندما عاد إلى عمارته القديمة..وجد شخصا آخر غير عم علي جالسا أمام البوابة..سأل عنه فعلـــم أنه رحل..للأبد..

هبة الله محمد حسن



تحرر



قررت البقاء في المترل رغم تحذيرات الجميع لها ..أرادت أن تتحداهم ولأول مرة.. أن تثبت لهم أنها قادرة علــى مغالبــة خوفها..طوال الوقت أجبروها على الخوف ..أنت فتاة .. إذن لابد أن تخافي ..عندما ترتعب من صرصور أو ترتجف عنــدما تنقطع الكهرباء كانوا يضحكون ويسخرون..بينما هــي مــن داخلها لا تشعر بالخوف ..ربما حاولت أن تمثل عليهم ثم تحول التمثيل بفعل الإيحاء إلى شعور حقيقي.. لكنها عندما تتوغل في أعماقها وتصارح نفسها لا تجد لديها خوفا حقيقيا ..وحــدها في هذا البيت الذي كثيرا ما قالوا أنه مــسكون وأن أصــواتا تنبعث منه ليلا ..ولكنها سكنته سنين طويلة مع والديها قبــل زواجها ..والآن عندما يضربها زوجهــا لمجــرد اخــتلاف في وجهات النظر فهي لا تستطيع أن تبيت معــه تحــت ســقف واحد..وستبيت ليلتها هنا وستثبت لهم أن كل ما يقولونه مجرد تخريف..

في الصباح استيقظت ..بعد أن نامت كما لم تفعــل مــن قبل.. لم يحدث أي شيء غير طبيعي..اتجهت نحو دورة الميــاه

لتغسل وجهها استعدادا لمعركة عائلية حامية تطالبها بـالعودة لزوجها ولكنها ستصر على الرفض ..فهي لم تعد تطيق وجوده في هذه الدنيا بأكملها..نظرت لصورتها في المرآة ..من المؤكـد أنها أصبحت أفضل حالا الآن ..بدا لها أنها صارت أكثر شبابا ..فقط ضايقها مرأى تلك الندبة الخفيفة في عنقهـا ..لكنـها ظنت أنها قد أصابت نفسها وهي نائمة ..فهي كثيرة الحركـة أثناء النوم..

انتظرت كثيرا و لم يأت أحد أو يتصل بها ..تعجبت..هـل كان الجميع ينتظر قرار الانفصال وكأنه شيء طبيعي ومحتوم..؟ انتظرت ساعات طويلة حتى يئست وقررت الذهاب إلى هناك لتستعيد كل ملابسها وتنهي الأمر ..

قابلتها إحدى الجارات على السلم بوجه ممتقع..

- ماذا حدث يا مدام عواطف ..ما بال وجهـك مـصفرا هكذا ..؟

- هل ..سمعت تلك الأصوات ليلا..؟ لقد عـادت مـن جديد....!

- لم أسمع شيئا ..متى ستخرجون هـذه الخرافـات مـن رؤوسكم..؟

- لا ..أنا متأكدة ..كلنا سمعناها..!

- اهدأي ..يا مدام ..ولا تفزعي ..أنا مضطرة أن أتركك الآن لأن لدي موعدا مهما لا يمكن تفويته..مع السلامة..

لقد امتلأ العالم بالمخابيل حقا ..

أسرعت الخطى وأخذت تنزل كل سلمتين في قفزة واحدة.. شعرت بأنها أصبحت قوية وستتحرر أخيرا من قبضته.. وعندما وصلت أسفل العمارة شعرت أن هناك شيئا غريبا ..ليست هذه هي البناية التي قطنت في دورها الخامس في شقة هذا المعتوه الذي تزوجته عشر سنوات..حركة غير عادية وأناس تغدو وتروح.. و.. رجال الشرطة ..صعدت لأعلى بقلب يكاد يقفز من بين ضلوعها ..لتجد ذلك الشيء الذي كان زوجها بالأمس وقد غطوه بورق من البلاستيك ومنعوها من أن تنظر لجثته .. لم تصدق أن من ضربها أمس حتى أدماها قد أصبح الآن جثة ..منعت شعورا بالارتياح من الاسترسال فهو إنسان مهما كانت تكرهه .. أخبرتهم أنها زوجته وأن رؤية جثته قد تفيدهم في التحقيق وعندما وقعت عيناها عليه أصابها دوار عنيف وشعور غريب بالانقباض ..فهوت على أقرب مقعد بينما هم أحد الجيران بإحضار كوب من المياه لها ..

- ماذا حدث بالضبط يا حضرة الضابط ..؟

قالتها بعد أن تمالكت نفسها ..

وأخبرها رجال الشرطة أن الجيران سمعوا صوتا غريبا كأنما هناك وحش يفترس آدميا وعندما جرؤ أحدهم على طرق باب الشقة ثم إبلاغ الشرطة وكسر الباب وجدوا جثة زوجها كما تراها الآن والغموض هو سيد الموقف..

فهي لم تعد تطيق وجوده في هذه الدنيا بأكملها

فقط ضايقها مرأى تلك الندبة الخفيفة في عنقها

هل ..سمعت تلك الأصوات ليلا..؟ لقد عادت من جديد....!

..أنا متأكدة ..كلنا سمعناها..!

وأخبرها رجال الشرطة أن الجيران سمعوا صوتا غريبا كأنما هناك وحش يفترس آدميا !

***

عندما عادت إلى شقة والديها من جديد .. كانت قد قررت أن تطوي هذه الصفحة من حياتها ..ولكن التساؤل الذي ضايقها هو ..هل هي متأكدة أنها أمضت ليلتها في بيت والدها..؟ ولكنها قررت ألا تشغل بالها بسؤال لن يفيدها في شيء..

حنان عبد الغفار

سر الورقة الحمراء



وزعموا فيما زعموا أن للخوف اسما يلفظ على سبعة أحرف وما سواها لحن وإعجام. وإنك إن أصبت نطقه أصابك وإن لحنت فيه أعلك!

قيل: إن قيصر العجم المجنجل لم ير أخوف من لفظه بلسان العجم، وقال في هذا: الخوف بحرف العجم أشده وطأة فإنك إن لفظت به على لساننا ألبست عليك أعداءك فكادوا يهلكونك.

وقد قال الشاعر:

ولفظ أعجم فما نطقه

بأرهب من خضب المهند

وأما اللسان الثاني فهو لسان الحبشة، وقال في هذا نحاشيهم: لا أوقع الله إنسانا في نطقه فإنه يلبس عليه النكبات حتى تكاد تعدم لا تجد شروي نقير.

وفي هذا قال شاعرهم:

ولا أرهب من الأنهار طوفانا

والجدب حتى إن نطقوا الملاعينا

وأما الحرف الثالث فهو حرف أهل الحيرة. وكان النعمان ابن المنذر ليفتك بمن يقال عنه إنه يكتب القراطيس خشية أن يقرأ من آثار الأقدمين ما أخذ عن الجن من لسان الخوف، وزعموا أن ابنته لما عشقت كسرى وغدرت بأبيها فما كان ذلك إلا بأنها دست على النعمان رقاقة زعمت أنها من ديوانه فلما قرأها عليه كاتبه الرومي إذا بها اسم الخوف بلسان الحيرة فألبس على بيته الخراب فانفض الجند عن باب قصره.

فإن حرف الحيرة من أبغض أسماء الخوف، لأنه يلبس الخراب على البيوت حتى توشك أن تنفض عنك. وفي هذا قال الشاعر العبسي:

وبعد خبابنا بديار بكر لا أرى

خراب إن لم يزره البادشا

والبادشي هو كاتب النعمان الرومي الذي جلب الخراب على قومه.

والحرف الرابع بلسان حمير، بأقدم ألسنة حمير حتى إن الحميريين أنفسهم نسوه وقد قيل إنه يلبس على الأرض رجفة تكاد تأخذ من عليها. ولذا فإن العرب تخشاه كثيرا وتظن أنما أهلكت ثمود به.

على أن لأهل اليمن بلسانهم حرف ثان يخشاه الناس أكثر، وهو في قول الصعصاع بن مضر العنبسي أشد الأحرف وأهولها ولا يخاف سواه. ويقال إنما هو ليس من لسان حمير حقيقة وإنما الجن قد دسوه عليهم نكاية فيهم لما تزوج الأمير الحميري المعين بن الماعون من بنت ملك الجن الأشره بن شراهة رغما عن أنف والدها بعدما أذله بسيفه.

وفي هذا زعم لا يصدق، فما اسم الخوف أصلا إلا دسيسة خراب من شياطين الجن تبغي بها الثأر من بني آدم. قيل أن إبليس نفسه من كتبه بعدما رآه منقوشا على شجر الزقوم في أبواب جهنم. ثم لما طرد من السماء احتار كيف يأتي بها لبني آدم فانتظر كاتما سره في غيظ حتى سال دم هابيل على يد قابيل ففتح باب الشر وأدرك إبليس كيف يكتبه بلسان البشر فأرسل أتباعه من الجن لسبعة قصاع في الأرض يعلمونه للناس.

على أن الخشية التي تأتي على النفوس إذا سمعت الآذان بأمر الحرف الخامس ليست بالمستغربة. فإنه حرف ملعون بلسان

ملعون لا ينطق به إلا سحرة اليهود في اليمن ممن أحرقوا المؤمنين في الأخدود. ويقال إنه الله قد سلط عليهم من ينبش في الطلاسم القديمة ويستخرجه لهم وهم يظنونه سحرا عظيما فرحوا به فإذا به يهلكهم. إن الحرف الخامس لمريع لأنه يكشف لعين البشر ما لا ينبغي لها من ضر وشر وعفاريت وعوامر تزأر حوله حتى يكاد الجنون أن يلبسه.

وفي هذا قال الشاعر:

واحجبي عيونك يا أميمة فإنما

بقلبي أبعد من لفظ الهاجر تذهب.

والهاجر هو الكاهن اليهودي الذي نبش الطلاسم حتى أخرج اسم الخوف بلسان يهود اليمن.

وأما الحرف السادس فهو حرف مضر. لا يخشاه الكثيرون، يستهينون بأمره. وكم من مصيبة حاقت بالمستهينين. لأنهم يزعمون أن ضره ليس بالخطير فهو يترل الكابوس وشرار الأحلام على المرء حتى يجافيه النوم. وينسى القوم حكاية الثامر بن الأسدي الذي أغضب امرأته فما رضيت أن يصالحها إلا إذا نطقه. فجافاه النوم من ساعتها وما لبس الجنون أن مزقه حتى قتل امرأته وأهلها وألقى بنفسه في البحر غريقا.

وتلك هي الحروف التي عرفها العرب ستة. ويتممها الحرف السابع قيل إنه ليس بلسان أحد من الأرض وقيل إنه بلسان أهل ثمود. بل قيل إنه بلسان زبانية جهنم وإنه ليس إلا الأصل الذي أخذه إبليس من فوق أوراق الزقوم على أبواب جهنم. يزعم الناس أنه الأشد خطرا حتى لا يرى من حروف الخوف له مثيل. فهذا الحرف المهجور لا يلبس على المرء ما يخيف وإنما يلبسه الخوف ذاته!وقد زعموا أن الزباء ملكة تدمر لما ازداد ملكها وزاد حسادها وخشت من أمر عمرو ابن مالك اللخمي ملك الفرات وأحلافه من ملوك الروم بحثت ونقبت الأرض وبعثت للسحرة والكهان حتى جمعت طلسما فيه اسم الخوف مكتوبا بأحرفه السبعة كتبتها بخط مهجور لا يعرفه أحد من قومها لكن ملوك الروم وعمرو ابن مالك اللخمي يعرفونه جيدا. ثم علقت الطلسم على أبواب مدينتها فما استطاع أحد أن يغلبها عليها قط. وما سقطت المدينة إلا بحيلة القصير بن سعد اللخمي الذي زعم لها أنه مغدور وله ثأر عند عمرو ابن مالك ففتحت له أبوابها وتعرفون ما أجراه من حيل حتى دس عليها في متاعه قدور تخبئ جند اللخميين وصناديدهم فمزقوا المدينة. و لم يعرف لطلسمها مكان وضاع بين الجند والخيل.على أن كاهنا معروفا في اليمن زعم أنه يملك هذا الطلسم وزعم أنه ليس من صنع الزباء بل هو من صنع إبليس نفسه مكتوب على ورقة حمراء لا مثيل لها في الأرض هي حتما من نبت جهنم. وقد خاف بنو حمير على أنفسهم من هذا

الطلسم فطردوا الكاهن رغم أنه كان عظيما عندهم من البلاد وسلطوا عليه من يقتله. و لم يعرف لطلسم الزباء بعدها مكانا أو يسمع عنه قولا.

***

١-"ما أسخف نكتة سمعتها في حياتك؟"

٢-"همم عندي نكتة قاتلة فعلا فقط لو كنت صبورا وتحتملها."

١-"جربني."

٢-"مرة واحد شاف الساعة واقفة قام لها تقعد! ومرة واحد رأى الساعة واحدة راح معاكسها!"

١-"هممم طيب خذ هذه الثقيلة: نكتة الورقة الحمرا

رجل أمي (لا يقرأ) في الشارع وجد ورقة حمراء عليها كتابة أخذها معه البيت أراها لمرأته تقرأها فنظرت فيها وقالت "لا إنت جوزي ولا أعرفك اخرج من الشقة"

سمع أخوه الخناق فأتى ليفض بينهما سمع الحكاية وقال "طيب وريني الورقة دي" نظر فيها وتعصب وقال "لا أنت أخويا ولا أعرفك اطلع من البيت" .

اشتكى للعمدة فقال له "طيب وريني الورقة دي" نظر فيها وطرده من البلد.

ثم طردوه من المحافظة ومن الدولة ووضعوه في طائرة. حكى للطيار فنظر في الورقة لبسه بارشوت ورماه منها نزل في الصحراء فقابله شيخ قبيلة سأله ما الحكاية؟ فحكى له فقال "طيب وريني الورقة"،

رد "مش قبل ما تعلمني القراية والكتابة"، فعاش معه ٦ شهور يتعلم القراءة والكتابة ثم قال "نقرا الورقة بس فوق جبل بعيد عن الناس طلعوا فوق الجبل طلع الورقة الهوا هب وطيرها فضاعت!".

٢- "نكتة غريبة حقا حقا."

١-"ترفع الضغط! لكني دوما أتساءل عما بهذه الورقة العجيبة.".

٢-"ليس الأمر كذلك. لكن أمس فقط عثرت أثناء التنقيب على ورقة حمراء غريبة الملمس عليها سبع كلمات بالخط النبطي القديم، في الحقيقة لقد أتيت اليوم خصيصا لكي أطلعك عليها كي تترجمها لي."

١-"حقا؟ أرني إياها........................

محمد الدواخلي



صفير الشيطان

إهداء :

هذا الصوت الذي يصم أذني .. أسكتوا هذا الصوت بـــأي شكل إنه يقودني للجنون ، ألا تسمعه معي ؟؟ إنه الـــصفير .. صفير الشيطان !

***

١

أدعى (رامي) .. واليوم يوم مهم في حياتي وربمـــا كـــان نقطة تحول كبيرة في حياتي ، فاليوم سيكون عندي خادم مـــن الجن ينفذ أوامري ....

فأمسكت بهاتفي المحمول وبدأت الاتصال .. وبعد دقـــائق نظر لي صديقي (محمد) وهو يراجع معي ما قمنا به ودار بيننا الحوار كالآتي :

- (رامي) هل (هشام) قام بما هـــو مطلـــوب منـــه في شقته؟؟

- انتظر سأحادثه على هاتفه المحمول كي أتأكد ...

من محادثتي مع (هشام) نظرت لـــ (محمد) وقلت له :

- (هشام) يقول أنة سيدخل الآن الحمام وبعد أن ينتهي من الاستحمام سيخرج عاريا كما اتفقنا ويذهب إلى فراشه ويحادثنا هاتفيا لنبدأ في نفس التوقيت ..

- جميل ولكن أحضر الكتاب مرة أخيرة لنتأكد من الخطوات مرة أخرى .

ذهبت إلى ركن الغرفة وأمسكت بالكتاب الصغير وبدأت بتقليب صفحاته حتى وصلت إلى الصفحة التي ثنيت جزءا منها كي أرجع لها مرة أخرى .. ثم بدأت القراءة بصوت عال :

- باب تحضير حارس القمر .. يقوم ثلاثة أشخاص بتنفيذ أوامر هذا الباب حيث يدخل أولهم إلى دورة المياه ويبدأ بالاستحمام بالماء ثم يخرج عاريا ويذهب إلى فراشه ويقوم الاثنان الآخران بتحضير وعاء كبير مملوء بالماء ثم يقتلان روحا ويغمسان رأسها بالماء ويقومان بإضافة دم بشري إلى سطح الماء ويحضران ورقة ويكتبان عليها (أقسم عليك بحق (...) و(...) أن تفتح الباب بيننا افتح الباب وابدأ العهد بيننا، لك علينا حق السمع والطاعة ولنا عليك حق تنفيذ أوامرنا بلا مناقشة ، حاكر سفهائيم حاكر سفهائيل بحق (.....) أيقظه من سباته ومرقده ، أعطنا إشارة قدومك أعطنا إشارة قدومك، ثم يحرقون الورقة ويقومون بوضع الرماد في داخل وعاء الماء حتى يذوب داخله ، ويقوم الثلاثة بقراءة تلك الكلمات في

وقت واحد على ألا يزيد وقت القراءة بينهم عن ثلاث دقـــائق والكلمات هي:

(يا من تنام في القبر ولا يوقظك أحد ، يا من تأكل الموتى ولا يوقفك أحد ، يا من تسير بين الممالك ولا يقتلك أحـــد. أقسم عليك بعهد ابن الأشكم أن تنفذ طلبنا أقسم عليك بعهد ابن الأشكم أن تنفذ طلباتنا حمال حمال فهـــشيم ســـيفاهائيل الوحي فلاء).

ثم يقوم الشخصان بإنهاء أي مصدر للضوء ويضعان أيديهما في وعاء الماء حتى يشعرا بتنميل أيديهما وعدم مقدرتهما علـــى الحركة ، أما الثالث فإنه يقوم بإخفاء مصدر الضوء هو أيـــضا ويشعل سبع شمعات وينام حتى الصباح وفي الصباح سيـــسمع صوت صفير يتردد من الحائط فيذهب إلى صوت الصفير ويدق فيه مسمار ثم سيسمع صوت صفير من الحائط المجاور فيذهب ليدق مسمار في مكان الصفير ثم يسمع صوت آخر من جـــزء آخر من الحائط فيذهب ليدق مسمار آخر وعنـــدما تنتـــهي أصوات الصفير يبدأ بتوصيل المسامير بخيط رفيع ويغمض عينيه وينتظر أن يسمع دقات على باب الغرفة وعندما يسمعها يعلم أن الخادم معه في نفس الغرفة وقد تشكل بشكل حيوان وعليه أن يغمض عينيه وهو يحدث هذا الخادم ولا يفتحهمـــا مهمـــا حدث ، وفي بعض الأحيان يحضر الخادم بعد صوت انطـــلاق الصفير من الحائط ولا يحتاج لـــدق المـــسامير أو إلى توصـــيل الخيوط وفي هذه الحالة عليه أن يتبع قواعد الأمان بـــألا يفـــتح

عينيه ويعطي ظهره للخادم وهو يحدثه ، أما الشخصان الآخران فيذهبان لفراشهما بانتظار تنفيذ الطلبات التي يقصها الخادم على الشخص الأول .

انتهيت من قراءة ذلك الجزء ونظرت إلى (محمد) الذي كان ينصت باهتمام شديد لي ثم قال وهو يشير بإصبعه ناحية وعاء الماء الذي أضعه في غرفتي :

- أحضرنا الوعاء وذبحنا دجاجة وغمسنا رأسها في الماء ، وبالنسبة للدم سنفعل كما اتفقنا .

تقدم (محمد) ناحيتي ووقف بجانبي وهو ممسك بالسكين... كان مطلوب دم بشري وبالطبع لن نقتل شخصا لنحضر دمه إلينا .. فلم يكن لنا سبيل من أن نفعل ما نفعله الآن ..

لقد مرر (محمد) جزء بسيط من السكين على معصم يده فسالت الدماء لتغرق وعاء الماء ، وكنت أنا قد أعددت ميكروكروم ولاصق جروح كي أضمد الجرح الذي أحدثه (محمد) ثم جريت أنا لأحرق الورقة بحذر شديد وأجمع رمادها كي أنثره على الماء.

والآن حان الوقت لانتظار اتصال (هشام).

دقائق بسيطة وجاء الاتصال أنه جاهز لقراءة الكلمات ..

وبدأنا بالقراءة في وقت واحد بالتقريب.

وأنا أقرأ الكلمات جاءت في عقلي بعض الخواطر ..لمــاذا يحتاج إلى ثلاثة ولماذا هذا التقسيم ، لماذا جعل شخصان يقرءان الكلمات برغم أن عمل الشخصين كان يمكن أن يفعله شخص واحد فقط ؟؟؟ ولماذا تحتوي الكلمات على تلميحــات بــأن هناك بوابات ستفتح ؟؟؟ ، لقد اشتريت هذا الكتاب من أحد الباعة الذين يفترشون الأرض في أحد الميادين العامة مقابل مبلغ زهيد . والكتاب نفسه مطبوع في وقت حديث نــسبيا منــذ حوالي خمسة وعشرين عاما ولكنه حديث ، وهو يتكلم عــن طرق سحر قديمة منقولة من كتب أخرى قديمة ومخطوطــات أصلية .. هل كل تلك الطرق مجربة أم هناك طــرق لم يجربهــا أحد إلى الآن ؟؟؟

وهنا انتهينا من القراءة ثم وضعنا أيدينا في الماء بعد أن أغلقنا الإضاءة ...

ظللنا على هذا الوضع ما يقارب النصف ســاعة ونحــن لم نحرك أيدينا المغموسة في الوعاء حتى شعرنا بتنميل لا نعلم هل هو تنميل لعدم استخدام أيدينا فتــرة طويلــة أم أن التعويــذة حقيقية فرفعنا أيدينا وقمت أنا بالاتصال بــهشام كي أتأكــد من أنه قرأ الكلمات وأشعل الشموع ..

ولكنني عندما اتصلت به على هاتفه المحمول لم يجب علي..!!!

فقدرنا أنه قد نام وفعل كما طلب منه ...

ونمنا نحن الاثنان في غرفتي لأن أهلي قد سافروا منذ أيام فكان من السهل علي استضافة (محمد) في شقتي وتنفيذ تلك الفكرة التي اتفقنا عليها جميعا حتى نستدعي خادما من الجن يكون تحت إمرتنا.

***

٢

استيقظنا في الصباح وتوجهت أنا إلى هاتفي المحمول لأتصل بـــ (هشام) ولكنه لم يرد على الهاتف مجددا ..

ظللت أكرر الاتصال بلا جدوى .

أخبرت (محمد) بأن هشام لم يرد على هاتفه فعلل ذلـــك بأنه من الممكن أن يكون مازال نائما ، ولكني حاولـــت بعـــد ساعة فلم يرد .. فانتظرت ساعتين ثم حاولت فلم يرد فبدأت بالشك في الموضوع .. وكنت مصرا على أن نذهب لمترله كي نعرف ماذا يحدث ، وفعلا ارتدينا ملابسنا وذهبنـــا إلى مترلـــه لنفاجأ بهول شديد ...!!!

عربه إسعاف وعربتان للشرطة وهرج ومرج في الـــشارع الذي يقطن به هشام وأمام مترله !!! صعدنا إلى شقته ولكننـــا وجدنا شرطيين يقفان يمنعانا من الدخول فقلنا لهم إننا أصدقاء هشام الذي يقطن بالـــشقة .. فـــدخل أحـــدهم ليـــستأذن بدخولنا...

كانت الشقة بالداخل مليئة بالرجال الذين يرتدون القفازات وهناك على أحد الأرائك كانت والـــدة (هـــشام) تجلـــس والدموع بعينيها وحولها كثير من النساء يهدؤها .

تقدمنا إلى غرفة (هشام) والتي كانت تعج بـــالكثير مـــن الرجال والذي استوقفنا أحدهم وهو يقول :

- قال لي العسكري إنكم أصدقاء (القتيل) ..

كانت مفاجأة لنا لا نتوقعها فقلنا نعم وبدأ الرجل يسألنا عن آخر مرة شاهدناه وأشياء من هذا القبيل ولكنني كنت مشغولا بشيء آخر فقد كانت عيني على الغرفة من الداخل لأرى ماذا حل بها ... لقد كان هناك خيوط تصل بين الحوائط تلك الخيوط كانت ترسم شكلا غريبا لا يمكن تبين كنهه ... وعلى الفراش كان (هشام) ممدا ولكن .... يا للهول إن رأس (هشام) مفصولة عن جسده تماما والدماء تملأ الفراش.

***

في اليوم الثاني بعد انتهاء التحقيقات وبعد رجوعي لمنزلي جلست على الفراش .. لم نذكر في التحقيقات أي شيء عن موضوع الجن هذا ، بالرغم من علامات الاستفهام التي تراصت من نوم (هشام) وهو عار ومن دقه لمسامير وإيصال خيوط بها .. ومن تلك الورقة التي وجدوها بجانب فراشة وقد كتبت عليها عبارات غريبة غير مفهومة .... !!!!

لم يفكروا بالطبع في احتمالات السحر أو العفاريت وحتى لو فكروا بها فلا يمكن غلق المحضر بتلك الطريقة ..

وهنا سمعت صوت صفير خفيف يأتي من مكان ما من غرفتي ..!!!!

ربما أتخيل أم أنه تأثير قصة هشام ؟؟؟ صوت الصفير عـــاد مرة أخرى ولكن من مكان آخر ..!!! صوت الصفير يتردد من مكان ثالث.

لقد انتفضت من على فراشي وأنا أجري كالمجنون باتجـــاه الأماكن التي يتردد منها الصفير من داخل الحوائط ... وفجأة

سمعت صوت دقات على الباب ...!!!!!!

ومن خلفي سمعت صوتاً جهورياً يقول:

- أغمض عينيك ولا تنظر خلفك وإذا نظـــرت سأفـــصل رأسك عن جسدك .. هل أنت من استدعيتني من القبر ؟؟؟

- !!!

***

حسن الجندي



بو جلود



١

تأكد (حسن) من الزي التنكري على المـرآة المتـسخة الكبيرة. كان الشق الرأسي في أعلاها يشوه وجهه ويزيد مـن بشاعة الزي. زي (بوجلود) : قطع كبيرة من فـرو الخـروف خيطت بفظاعة لتشكل ما يشبه السروال والسترة. كان كـل شيء جاهزا للعرض الأول غدا مع زملائه في الشارع.

نزع (حسن) الزي ووضعه في كيس بلاستيكي أسود، كان قد حدد مع أصدقائه موعدا في (جراج) قريـب لاسـتعراض أزيائهم في بروفة أخيرة. بينهم من في الجامعة ومن مازال يتابع دراسته في الثانوية كـ(حسن)، وهناك من لم تسعفه الدراسـة فامتهن حرفة ميكانيكي. كان أكبرهم (سعيد) قد وعدهم بأن يحضر الترخيص من البلدية، فقد منعت السلطات ممارسة هـذا الطقس لدواع أمنية كما يقولون، لكن حسن متأكد من أنهـا

سياسة مقصودة. في العام الماضي استفزهم رجال الأمن. اعتقلوا بعضا منهم وجردوهم من أزيائهم.

غادر (حسن) غرفته وبحث عن والدته ليخبرها بأنه سيتأخر عن الغداء، كانت في السطح تزين يدي أخته الشقية الصغيرة (لبنى) بالحناء، نظر للكبش الذي يبدو سعيدا وهو يلوك بفمه مجترا، قرناه رائعان ولطخة من الحناء فوق رأسه كما تنص العادة في مثل هذا اليوم قبل العيد : يوم الحناء.

وكما توقع (حسن) لم يخذلهم (سعيد) وجلب ترخيص البلدية، أعد بطاقات عليها هوياتهم في حال حدوث مشاكل. كان (سعيد) عضوا في جمعية ويعرف جيدا ما يفعل. لبس الأولاد أزياءهم المرعبة وبدوا بالفعل كشياطين خرجت للتو من الجحيم. شعر (حسن) بالرهبة تجتاح جسده، بخوف طفولي انتابه فجأة خاصة مع الصرخات التي شرع الأولاد يطلقونها لتمرين حناجرهم. لكنه تمالك نفسه، فهو الآن منهم، هو الآن (بوجلود) حقيقي. هو الذي من المفروض به إخافة الآخرين.

و(بوجلود)، أو(بيلماون بالأمازيغية)، أو (سبع بولبطاين)، طقس أمازيغي قديم مميز، ربما ذو أصول أفريقية، يتصادف الاحتفال به شعيرة عيد الأضحى، حيث يلبس شاب فرو الخروف حتى يصبح بملامح مخيفة جدا، يلطخ وجهه باللون الأسود أو يرتدي قناعا بقرني كبش، يزور البيوت الواحد تلو الآخر من أجل بعض النقود ثمنا للفرجة فهو يطلق صرخات

عالية ويلوح بحزام جلدي أو برجل الخروف، الضرب غير المبرح بهما كما يقولون : فأل حسن يعطي الأسر الأمان والاستقرار والرزق.

كانت رائحة صوف الخروف تزكم أنفه وهو داخل الزي، لكنه ألفها، وألف الحكة التي يثيرها الزي في عنقه ومعصمه. تأكد من قرنيه وثباهما فوق الرأس. كان هو و(محمد) و(حسن) فقط الذين يرتدون أقنعة الوجه مزودة بقرون حادة، بينما الآخرون اختاروا أقنعة مخيفة أخرى أو لطخوا وجوههم بالأسود كجنود الماريتز.

وطوال بقية اليوم، تمرن (حسن) مع أصدقائه على أداء أدوارهم ونظمهم (سعيد) جيدا، شرح لهم على خريطة مرسومة للحي الشوارع التي سيمرون منها وخطة لتوزيع الأماكن والأدوار. من أجل حصيلة جيدة واستعراض جميل. لذلك حين آوى (حسن) إلى فراشه ليلا نام بعمق وهو مستعد تماما ليوم الغد.

٢

هرعت (لبنى) الأخت الصغرى لـ(حسن) ملتاعة تبكي واحتمت خلف جسد أمها. لم يكن (حسن) هو الذي ضايقها هذه المرة بل كانت حزينة لمرأى الكبش وهو يتمرغ في دمائه مسلما الروح. ساعد (حسن) والده على سلخ الأضحية وكان بادي الاستعجال، حتى إن والده اضطر لتعنيفه مرة أو اثنتين، لذلك مباشرة بعد أن بقر بطن الكبش واستخرج أحشاءه تركه يغادر مؤثرا العمل وحده على العمل مع ابنه وعقله في مكان آخر. كانت شوارع الحي غاصة بالأطفال وألبستهم التقليدية الجديدة والجميلة. وكانوا يفرون هلعا منه وهو يهددهم ويصرخ، منهم من كان يجري ويضحك ومنهم من كان يبكي وهو يتشبث بثوب أخته الكبرى ويكاد ينزعه عنها. ومنهم من كان يشتري سلامته من الضرب بقطعة نقود يعطيها له ويبتعد مداريا خوفه. من الغريب فعلا رؤية الخوف الذي يسببه لباس (بوجلود) على وجوه بعض الناس. وكان (حسن) مندمجا في الدور كما ينبغي أن يكون. يقولون إن (بوجلود) كان وحشا حقيقيا يرعب الناس في القرى. ويقولون إن عصابات من الهمجيين كانوا يلبسون جلود الخراف والماعز ويغيرون على القرى في أزمان غابرة. ويقولون ...

المهم بالنسبة لـ(حسن) وزملائه هو المحافظة على هذا التراث من الاندثار، وإحيائه كل عام في عيد الأضحى. حتى لو

كان (بوجلود) هو استحضار للشيطان ذاته. وكما يقول صديقه (سعيد) مازحا : "للأمريكان (هالوينهم) ولنا (هالويننا)".

كان العصر قد مضى واقتربت الشمس من المغيب. منذ استراحة الغداء و(حسن) مع زملائه يجوبون الأزقة ويستوقفون السيارات. كانت حصيلة ما جمعه من نقود جيدة بالفعل. كان هناك بعض الأولاد يشوون رؤوس الخراف في الشارع لربات البيوت الكسولات. ابتعد عنهم وعن النار المتأججة بخوف كوحش حقيقي يخاف النار بالغريزة. ومنظر الولد بأنبوبة الغاز يشوي الرؤوس بالنار كقاذف اللهب كان مخيفا بحق.

التقى (حسن) بـ(محمد) وخاضا معا غارة جيدة على حي يكتظ بالأولاد. تعرفه من قرني قناعه الملتويين. كان (محمد) يضرب في جميع الاتجاهات وبدا كوحش مسعور. استغرب (حسن) لنشاط زميله الزائد ورجاه بأن يهدأ قليلا فالأمر لا يعدو أن يكون إلا استعراضا. لكن (محمد) دفعه بعيدا. كانت عيناه تبدوان محمرتين من خلف قناعه الصوفي وفطن (حسن) إلى أن صديقه دخن لفائف الحشيش كعادته، لذلك بدا غائبا عن الوعي قليلا. وبقي إلى جانبه لئلا يسبب مشاكل تعرضه للمساءلة وتعرض أصدقاءه للمتاعب. لم يكن (حسن) ملاكا طبعا فقد ضرب واستمتع بإخافة الآخرين. أغلب ضحاياه فتيات قبيحات مراهقات، وقد خرج منهن على الرغم من ذلك بنقود كثيرة.

كان الحفل يدوم عادة حتى ساعة متأخرة من الليل، لكـــن (حسن) كان منهكا وأراد أن يرجع للمترل لكي يرتاح قلـــيلا ويتناول شيئا. قبل أن يعود لكي يقوم مع زملائه بآخر غـــارة لليوم.

ورغم برودة الجو، كان الليل صـــاخبا وظهـــرت فـــرق استعراضية أخرى تجوب الأحياء تعرف (حسن) ببعض الأولاد فيها. يلبسون أزياء مختلفة من تراث قديم مثل زيـــه أو أزيـــاء لرجال شرطة وحتى لوحوش (بوكيمون). تحول الأمر لنوع من المنافسة وشرع (حسن) وأصدقاؤه يحاولون استعادة الـــشوارع التي بدأ جيش المتنكرين الجدد يطردوهم منـــها. واســـتغرقت الحرب الاستعراضية حتى منتصف الليل.

كان (حسن) يستريح في عتبة أحد البيوت حين لمح (سعيد) يجري نحوه بدون زيه التنكري، وكان يلهث. فنهض (حـــسن) وقد انتابه خوف غريب وأسرع يرى ماذا يحدث. اســـتوقف صديقه الذي أخبره بأن الشرطة تجمع كل مـــن يرتـــدي زي (بوجلود) ونصحه بالهرب. حين سأله (حسن) عـــن الـــسبب أحجم عن الجواب مباشرة وقال مندهشا : " من أيـــن هاتـــه الدماء في زيك يا (حسن) ؟"

نظر (حسن) مندهشا هو الآخر لزيه. كانت بقعة من الدماء متجمدة تلطخ الصوف المتسخ أصلا عنـــد الركبـــة. لم يجـــد (حسن) تفسيرا لوجودها، غير أن صورة أخته (لـــبنى) ألحـــت

على عقله وقال في شبه شرود: " ربما لطخه أحـــدهم حـــين عدت للبيت في الغداء .. أنت تعرف أن (لبنى) أختـــي شـــقية جدا.. لقد أخرجت الزي من الكيس وعبثـــت بـــه في دمـــاء الأضحية .. نعم هذا ما حدث يقينـــا .. ســـيكون حـــسابي معهـــ... ".

قاطعه (سعيد) قائلا برجفة : " لقد أُعتدي على طفـــل في أحد الأزقة المجاورة المظلمة .. بعض الشهود رأوا ولدا بلبـــاس (بوجلود) يجر الطفل الخائف إلى ذلك المكان المنعزل".

انتقلت الرجفة إلى جسد (حسن) وبدأ عقله يصور مشاهد غير محببة ثم سأل :" أُعتدي على طفل ؟؟ كيـــف ؟؟ اعتـــداء جنسي؟؟ ".

أجاب (سعيد) وهو يبلع ريقه:" أفظع .. لقد عثـــر عليـــه مذبوحا".

انتفض (حسن) في مكانه كمن تعرض لألف صـــعقة. يـــا للهول !

قال (سعيد) وقد أشفق على (حسن) من التـــوتر الرهيـــب الذي بدا عليه. ثم قال:" انزع عنك الزي وعد إلى البيـــت. لا تغادره أبدا حتى نرى ماذا سيحدث".

لم يكذب (حسن) خبرا ونزع الزي غير آبه بالبرد القارس، جمعه في كيس أسود ورماه في أقرب قمامة وهو يسرع بالعودة إلى البيت. لم يخبر أحدا بالأمر وبدا متوترا للغاية ويكاد يقفـــز من مكانه كلما رن جرس الباب. حتى إن أباه سأله غير ما مرة على طاولة العشاء عما ألم به.

٣

بعد العشاء جاء (سعيد) واستقبله (حسن) في غرفته بسطح المترل. كان متوترا للغاية وقال إن الشرطة مشطت الشوارع من جميع المتنكرين وملأت سياراتها بهم.

"هل يعرف والدك؟" سأل (سعيد).

رد (حسن): " ليس بعد".

"يجب أن تخبره .. سنحتاج لمعارفه لنخرج من هذه الورطة.. فالقبض علينا صار مسألة وقت فقط".

"نحن لم نفعل شيئا".

"حين ينتبهون لذلك .. صدقني لن تكون بحال جيدة .. أنا في الجامعة منذ سنتين فحسب واعتقلت في مظاهرتين .. لم أشارك في أي منهما .. وترك الاعتقال فيّ جروحا وذكريات غير محببة .. وأنت تعرف أن هناك من مات في مخافر الشرطة".

"هل تعرف من صاحب تلك الفعلة الشنيعة ؟؟".

"يقولون إنه مدمن معروف ذو سوابق من الحي المجاور .. أفرط في الشرب أو تناول المخدر .. لا زال مختفيا عن الأنظار والشرطة تبحث عنه .. لكنني شخصيا لا أصدق .. فالرجل

جبان جدا ولا يشكل خطرا حتى وهـو في أقـصى حـالات السكر".

"وبقية الأولاد ؟؟ أين هم ؟؟".

" قبض عليهم كلهم .. كان الله في عونهم .. فقـط نحـن الثلاثة نجونا لحد الآن".

"نحن الثلاثة ؟؟ من تقصد بالثالث؟؟".

نظر (سعيد) بدهشة وقال :" (محمد) طبعا فهـو لم يخـرج اليوم من البيت .. لقد ارتفعت حرارته فجأة ليلة أمـس، ولم يستطع أن يغادر الفراش".

ودون أن ينتبه لعلامات الذهول الـصارخة علـى وجـه (حسن) قال ساخرا بمرارة:

"يبدو أن وحش (بوجلود) أراد ان يرسل لنا رسالة تحذير.. بأن لا نعبث معه مرة أخرى ..".

عبد العزيز أبو الميراث

مجرد بيت



"هل لك بفنجان قهوة ؟"

" لا شكرا.. لا أريد "

قلتها في كياسة منتظرا إعطائي فرصة للتحـــدث لكنـــه لم يسكت ..

" فقط كنت أريد من سيادتك "...

" ليس قبل أن تأخد فنجانك ...... يا ولد يا سعد "

كما هو واضح وجهت العبارة الأخيرة للولد سعد الـــذي دخل يجري تلبية لنداء سيده ...

ــ" هات للأستاذ أشرف فنجان قهوة ... سكر زيادة "

" أأأ ... مضبوط "

كانت هذه صادرة مني ولكنه تجاهلها كأنما يطلب القهـــوة لنفسه ..

" بسرعة "

هكذا راح الصبي يهرول ليحقق هذا المطلب الأخير ..بينما كنت أنا أقاوم رغبتي في تهشيم أنفه .. وغرس مخالبي في كرشه..!!

_" شكرا " قلتها في كياسة مرة أخرى .. رغم نظراتي التي كادت تخترق جسده معبرة عن ضيق واضح ..

_" تكلم ...ماذا تريد ؟"

" أنا أشرف محمود ... أكتب في مجلة (..........) .. وكنت قد قرأت لسيادتك مقالا .. ها هو .. الذي تتكلم فيه عن موضوع بيت منطقة .. (.............) ..إنه .."

" أعرف .. أعرف .. جميل "

قالها في ثقة كأني أضأت له ألغاز الكون كله ... لكني تجاهلته ونظرت له في ضيق ثم أضفت .. " أنت تكلمت في هذا الموضوع عن ذلك البيت و قصته .. والأسرة التي قتلت فيه في حادث غامض .. رأيي أن هذا ليس طبيعيا "

_" ماذا قلت اسمك يا فتى ؟ "

" أشرف محمود ... صحفي بمجلة ال(........)"

" حسنا يا أشرف .. دعني أكون واضحا معك ... إن هذا البيت ملعون .... إنه الشر مجسد .. قتلت هذه الأسره من سنوات عدة في ذلك المترل .. و لم يوجد تفسير لذلك .. ثم أكثر من ساكن جديد .. و لم يوجد تفسير أيضا ... يقول الخبراء إنه يحتوي على طاقة نفسية تجعله يخلق الأوهام .. إنه حي ... باختصار ... من دخله ... لن يخرج منه ... "ثم ضيق عينيه .. و أكمل في خطورة " ليس حيا على الأقل"..

بلعت أنا ريقي .. وكان هو النشاط الوحيد الذي أقدر عليه ... عندما قال لي " لكنك لم تقل لي ... ما هو سبب اهتمامك به ... هنا في مصر .. لا يهتم أحدا بهذه الأحداث على الإطلاق ... نادرا ما يفعلون ... هل تنوي كتابة مقال عنه ؟ "

قلت له بعد أن تجمدت تقريبا " لا .. كنت أريد أن ... أذهب إلى هناك .."

ملامح الخطورة مرة أخرى ثم " هل جننت ؟؟ إن هذا هراء.... لا يمكنك إثبات شيء بذهابك .. لو رجعت حيا أساسا .."

" سيدي .. إنني مسئول عن باب كامل للتحقيق في هذه الحوادث الغريبة ... في رأيي هذه فرصة لا تعوض ...

" حتى لو كان فيها موتك ؟ "

_" سيدي ... تخيل كم النجاح الذي سأحققه ... من مادي إلى معنوي .. عندما أثبت أن هذا كله هراء .. "

" أنا أحذرك وأنت حر ... سوف تدفع حياتك ثمنا لهذا..."

فرغنا تقريبا من المحادثة في نفس لحظة دخول سعد بالقهوة التي كنت نسيتها ... لذلك قررت أن أعاقبه على تلك الرعشة التي أصابني بها ..

وضع سعد القهوة أمامي ... فشممتها في تلذذ .. ثم قلت له بإغراء " هل تشرب قهوتك سكرا زيادة ..؟ "

بحماس قال " أكيييييد "!!

بسماجة قلت " أنا أشربها مضبوط "

ثم نهضت و قلت له " شكرا على المعلومات .. سوف أحاول أن أخرج حيا "

و هكذا انتهت مقابلتي مع الصحفي الكبير الذي كتب تلك المقالة .. خرجت وأنا أضحك على منظره وهو يتساءل عن مدى جنوني ...!!

نزلت من المجلة وأنا أفكر في كلام ذلك الصحفي ...
بصراحة لم أجد لكل ذلك مبررا لماذا كل هذا الذعر ؟؟؟
والخوف من مجرد مبنى؟ ...

نعم هو مبنى فقط ... ألم يكن أرضا أو صحراء في يوم من الأيام ؟؟

ثم جاء عامل أو مهندس وبناه ؟؟

سوف أذهب ... حتما سوف أذهب ...

و لسوف أرجع منه حيا .. بصور وتقارير ... ووقائع ...

فارق كبير بين من يتكلم و يبعبع بالكلام وهو جالس في مكتبه يشرب القهوة .. وبين من يذهب و يبرهن على أن هذا هراء ...

سوف أذهب حتما ...

الفصل الثاني ....

موعدي

تسألوني لماذا ذهبت .. تسألوني لماذا ركبت سيارتي وقدت تلك المسافة ... تسألوني لماذا خاطرت بحياتي وأنا أعلم بوجود احتمال ألا أخرج من ذلك البيت حيا... تسألوني لماذا لم أسمع لكلام زوجتي عندما لطمت خديها توسلا لي حتى لا أذهب... كما لعنت حظها الذي جعلها زوجتي .. كانــت مقتنعــة أني سأموت ... و لكني شخص فضولي والفضول لدي أكبر مــن أية صفة أخرى .. لذلك لم أسمع كلامها فكرت في ذلك كله وأنا أتجه بسيارتي لمنطقة البيت المشئومة .. وصلت بسيارتي .. وركنتها ثم انتظرت حسب ميعادي مــع (عمــاد) المــصور صديقي... حيث اتفقت معه على أخذ صور من عدة مواقع .. و لابد أن تخرج باحتراف .. على يد مصور.. لذلك جلبتــه هناك .. انتظرت قرابة ربع ساعة .. وأنا أتأمل ذلــك البيــت الجاثم كالكابوس... كوحش أسطوري ينتظــر.. أخرجــت التليفون المحمول وكلمته ... إنه في الطريق.. فضولي يتزايد .. و يتضخم ... و ينهار السد المنيع ..قلت لــه إنــي ســأنتظر بداخل المترل .. و نزلت من سيارتي ووقفت أتأمل المــشهد .. هل أدخل ؟؟ هــل أجــسر ؟؟ هــل ... ســأظل حيــا ؟؟

ثم توقفت عن التفكير ... عندما سمعت صوت لهاث قادما من أسفل قدمي .. ليشتت انتباهي و .. يجعل الــدم يتجمــد في عروقي ...

إنه ... كائن .. حي ... أزحت هذا الكـائن -القطــة- جانبا بعدما وقع قلبي في قدمي فخرست قليلا .. ثم تقــدمت بضع خطوات .. حتى وصلت للمدخل .. الذي أزحته وفـتح بكل سهولة ..بحذر شديد أعبر البوابة ... إن الحــذر يحـرق أعصابي ... فلو غرد عصفور .. لمت رعبا ... و لكني طمأنت نفسي أن الباب لم يكن له صرير .. كما يحدث في كل قصص الرعب .

و توكلت على الله و دخلت

الفصل الثالث:

غرفة و كرسي و أشياء من هذا القبيل

دخلت متوقعا أن أجد وحشا بانتظاري .. يمسك بي .. و يطوحني في الهواء .. ثم أفيق لأجد نفسي أعد للعشاء .... أو على أقل تقدير ... مقسوما نصفين.. لكن الحمد لله لم يحدث أي من هذا ... إنه مجرد بيت .... بيت قديم فقط ... تغطيه خيوط العناكب .. والأتربة .. الأثاث يوحي بالقدم فعلا.. البيت شبيه بفيلا من طابقين ... هناك صالة كبيرة يوجد بها مائدة طويلة..ظلام ثقيل .. يجعل رؤيتي عسيرة .. ولكني كنت مستعدا .. فأخرجت البطارية التي أحضرتها معي .. وعلى ضوئها شرعت أرمق باقي البيت... رأيت درجات السلم العملاق .. مغطاة بأطنان من الغبار ...صعدت وأنا أسمع تكسير الخشب من تحتي ... حتى وجدت غرفتين .توكلت على الله ومشيت ناحية الغرفة الأولى ... أين أنت بحق السماء يا عماد ؟؟

مشيت حتى وصلت لبابها .. فتحتها ... فراش عتيق تزينه ستائر مغطاة بالعناكب ...لا يوجد شيء هنا ..

إذن لنخرج ...!! الغرفة الثانية ... مشيت نحوها وفتحت... إنها مغلقة ...!!موصدة لا أعرف من الداخل أم من الخارج ...

حاولت فتحها .. لم أوفق ..

فكرت في فتحها بكرسي .. فنزلت للطـــابق الــسفلي .. وحملت كرسيا من هناك ...

صعدت به .. و مشيت به للغرفة وأنا ألعن عمـــاد بـــأعلى صوت عندي ...

حملته .. و وقفت بعيدا ثم عددت إلى رقم ٣ .. واحـــد .. اثنين ... انطلقت أجري بالكرسي كالسهم .. إلى أن حـــدث التصادم ...

لم يجد الباب مفرا سوى أن يفتح على مصراعيه ... و يـــا ليته ما فعل ..

في الأول لم أكن أنظر ...

وحينما فعلت ...

لم أصدق ...

" يا إلهي .. ما هذا الذي أراه ؟؟

مستحيييييييي...!!!!!"

الفصل الرابع...

الغرفة التي ليست مغلقة!!!...

يرويه : عماد..

وقفت بسيارتي .. عند مدخل البيت وأنا أتصل بأشرف الذي لا يرد ... عليك اللعنة يا أشرف ...

تملكني القلق .. وثبت تقريبا من السيارة وأنا لا أزال أطلبه.. رد أيها الأحمق .. رد ...

لا رد ....!!

الأحمق .. لم أجد وقتا لأهدره ... فدلفت بسرعة البرق وخوف يتملكني ... كالصاروخ أزحت البوابة فانفتحت ...

تبا ...!!

يا ليتني ما تركته وحده ...

يا ليتني ما تأخرت ..

تبا ...

دخلت من الباب .. ظلام يغطي كل شيء ... إلا نور يأتي من الطابق الأعلى .. نور يخرج من غرفة موجودة فوق ...

تركت كل شيء و قبل أن أنظر لأي شيء .. كنت أتخذ طريقي لصعود السلم ..

أريد نورا ..

تبا ..

أخذت أصعد ويجول في خاطري خاطر ... أشرف مات... بالتأكيد مات ..

إذا لم يمت .. فأين هو ؟؟

إذا لم يمت .. فلماذا لا يرد على تليفونه الغبي ؟؟

إذا لم يمت .. فلماذا لا يوجد صوت يدل على أنه حي ؟؟

رحت أنادي بصوت عال عليه ... أشرف ...رف رف رف رف رف رف ..

عظيم صدى الصوت في ذلك المترل .. لسوف يكون قصة رعب رائعة ولو كان ألفريد هتشكوك هنا .. لما ترك هذا البيت دون تصوير أعظم وأحسن فيلم في القرن العشرين ...

المهم .. تناسيت خواطري السوداء ... و مشيت إلى الغرفة المفتوحة الأولى ... لا يوجد بها شيء ...

قررت أن أرى مصدر ذلك النور .. كما... سمعت تليفون أشرف يرن بالداخل ... إنه هناك ..

حتما هو هناك ...

الحمد لله ...

وصلت للغرفة ونظرت بداخلها ..

ـ " يااا ربي ... ما هذا الذي أراه ؟؟

مستحيلل "!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

إيمان أسامة القوصي

حكاية زواج



يبتسم كمال كلما سمع الناس تعليقا منه بجملة "بالتأكيد لا توجد زيجة أغرب من هذه!".

كان هذا نفس رد فعله حين قالوها على زواج أستاذه الجامعي من طالبة السنة الأولى أو حينما هربت لمياء من مترل أو بالأحرى قصر أهلها لتعاني الأمرين في الشهرين التي صمدت فيهما مع رأفت الفقير أو حينما استنذل وحيد وترك بنت عمه التي انتظرته خمسة أعوام ليتزوج قبل عودته من الغربة بيوم واحد بفتاة أجنبية التقاها في المطار، حتى حينما يسمع كمال عن ملك سوازيلاند الذي يتزوج كل عام فتاة في الرابعة عشر من عمرها لا يعدها أغرب من زيجة سونا الثانية!

وله الحق في هذا، أحيانا يشكك الناس في أمره وحديثه، لم يكن إلا طفلا وقتها لكن كل أهل قريته يذكرون بوضوح أمر

تلك الزيجة، أما ما صاحبها من أحداث يحكيها فالأمر بـــالطبع يصعب تصديقه.

البداية المفضلة للحكاية هي مع ابن خال والـــده: رأفـــت صبيح! لعلكم سمعتم بالاسم هنا أو هناك عنـــدما يتحـــدث قدامى

(المناضلين) أو الشيوعيون السابقون بلغة العصر عن كربالهم في العهد الناصري ومعتقل الواحات الرهيـــب وغـــيره مـــن السجون التي كان رأفت صبيح ضيفا دائمـــا عليهـــا يـــرفض الاستسلام وترك معتقداته في سبيل أي شيء حتى لو اعتقلـــه وطنه ونبذته عائلته.

وقتها كانت إحدى فترات التوتر السياسي الكبرى، لم يكن أحد ليتصور أن ينجو رأفت من الاعتقال هذه المرة لكنه كـــان قد اختفى، في الحقيقة عندما أتت الشرطة لأجله علموا أنه من قبل بداية الأحداث الدامية ترك رأفت كل مـــا وراءه وغـــادر مترله مع شخص يرتدي ملابس الجيش ويمسك في يده طفـــلا صغيرا. لابد أهم أرهقوا أنفسهم في البحث عن ذلك الـــضابط الذي أنذر الفتى، و لم يكن سوى كامل شقيق كمال الأكبر أتى لإحضار خاله وإعادته للقرية بعد ٢٠ عاما من تركها. حـــتى رفاق رأفت لم يتصوروا أن يذهب لهناك قط ولو على جثتـــه لكنهم لم يعرفوا بالكلمة السحرية التي سمع كمال شقيقه يقولها لابن خال والدهما: سونا تزوجت، الأمر كارثة عائلية كـــبرى

ويجب أن تحضر فورا، لا أعرف كيف ستقبل يا خالي؟ ولكن الحاج أمرني بإحضارك أنت بالذات.

والحاج بالطبع هو كبير العائلة الشيخ غباشي الرجل الصارم المتجهم الذي طرد رأفت من القرية بأكملها وهو مازال فتى غضا في مدرسته الثانوية وهو بالتأكيد أكثر شخص يكرهه رأفت في حياته.

لكنها كانت الكلمة السحرية حقا: سونا أو بسنت. نحن لا نتحدث هنا عن حسناء القرية أو بنت العمدة، وإنما نتحدث عن فاتنة نادرة المثال ثرية بما وراء العقل بمقاييس ذلك الزمان خريجة جامعات أوروبية راقية تدير أسماؤها الرؤوس.

كانت سونا نصف تركية، والدها كان (أو هكذا زعم للحاج) أحد من نفتهم وأسقطت عنهم الحكومة التركية الجنسية بسبب رفضهم للعلمانية، ولأن الحاج كان في ذلك العهد البعيد ناشطا إخوانيا فقد رحب في بيته بالمجاهد كما أسماه حينها، استضافه في بيته وزوجه شقيقته وساعده على استخراج أوراق مصرية. رغم أن كل الأهل يجمعون على أنهم لم يروا هذا المجاهد يؤدي فريضة واحدة، ولا يذكرون أنهم رأوه يحدث أو يتحدث عن أي شخص تركي ممن كانوا يعيشون في البندر وتربطهم بهم علاقة تجارة. صحيح أنه كان يتفوه بكلمات غريبة أحيانا لكنها حتما لم تكن اللغة التركية التي التقط الناس عبر القرون الكثير من مفرداتها.

أما والدة بسنت التي كانت ترفض تدليل فتاها بسونا فالكل يجمع على أنها كانت مسكينة حقا يشل الخوف لسانها دوما في وجود زوجها أو غيابه وهو ما كان الحاج يعده علامة على رجولة نسبية! وبعد أن مرت عليها السنوات عوضتها الأقدار بزهرة نادرة أخذت شكل أبيها وطباع أمها، فسونا ورثت عن والدها جمالا أخاذا يسلب العقول ببساطة شديدة. جمال يثير رجفة تصل لحد الرهبة! كما أنها كانت شديدة الذكاء حتى إن والدها رغم فقره أدخلها مدرسة أجنبية. وفي الوقت نفسه كانت خجولة هادئة لدرجة التكتم. يبدو عليها مثل أمها الرهبة الدائمة.

كانت سونا بالطبع حلم كل فتيان القرية، رأفت المثقف الذي كان مقربا لوالدها كانت له جولات وصولات في منازل القرية سعيا لنظرة خاطفة منها! كان يمني نفسه بها مطمئنا نفسه بأنه يملك أرضا كبيرة وميراثا ضخما ينتظره بينما سونا على جمالها وأصولها التركية لا تملك شيئا يذكر. سيجعل هذا الكفة متماثلة بالطبع فوالدها لا يحب أحدا غيره في القرية إذا استثنى ذلك الطفل اللطيف كمال، فقط عندما تنهي مدرستها سيتقدم لها و......

ولكنها لم تنه دراستها أصلا! عقد والدها صفقة ما مع شوكت بك. كان شوكت بك ثريا هرما وحيدا بخيلا. أصابه الفزع من حملات التأميم والمصادرة وأتته فكرة عجيبة! أن يتزوج من فتاة تحمل جنسية أجنبية يضع أمواله باسمها في أي

بنك أجنبي بعيدا عن أيدي الحكومة! وكانت سونا فريسة مناسبة له، الفتاة الغريرة وجدت أمامها صفقة لاستعادة جنسيتها التركية والسفر إلى أوروبا للعيش هناك وإتمام دراستها في جو باذخ مقابل الزواج من هذا العجوز الذي ضحى ببضعة آلاف لحماية باقي ثروته. صحيح أنه سيضعها في يد فتاة صغيرة لكن هذه الفتاة كانت تربية القرية وتربية أمها التي تصاب بالإغماء إن سمعت صوت زوجها غاضبا!

واختفى حلم سونا من القرية بغتة! واختفى والدها بعدها بقليل. ماتت أمها كمدا في غضون شهور قليلة ولم يرض الزوج البخيل بعودة زوجته لحضور جنازتها! أعلن رأفت أن الحاج تخلى عن لحمه للأجانب الرأسماليين المتعفنين وترك بسنت حبيسة لدى مجنون إقطاعي في غربة قاتلة.

ثم بعد تلك السنوات عادت سونا للقرية وقد نصرها الموت! عادت شخصا آخر غير تلك الخجولة الصامتة الخائفة كانت سونا أخرى، سونا عاصفة مدمرة متغطرسة تشبه والدها ورغم ذلك زاد الناس حبا لها! ربما لأنها تمتلك في البنوك أكداس من النقود؟

تقدم لها خطاب من كل شكل ولون لم يلقوا إلا السخرية والاستهزاء. كانت سونا قد أصبحت شوكة في حلق العائلة بتصرفاتها العنيفة المستقلة وبجمعها حفنة من نساء البندر حولها يزرنها كل أسبوع حتى ساعات متأخرة من الليل، وبخروجها

راكبة حصانها ترمح بين الحقول حيثما تشاء وقتمـــا تـــشاء لا يجرؤ أحد على مجرد نهرها. بل كانت ترفض استقبال أي مـــن رجال العائلة حتى خالها باستثناء رأفت المنبوذ وكمال الـــصبي الصغير الذين كانا يزوران والدها في حياته والغريب حقا كان شراؤها لهذا البيت الضخم المهجور جوار المقابر، ثم تركته دون أن تجدده ورغم ذلك أخذت تتردد عليه كـــثيرا، مـــرة كـــل أسبوع. طبعا لاكتها الشائعات لكنها لم تكن الشائعات الـــتي تتوقعها في مثل هذه الأحوال، كان الناس يتحدثون عن والدها المختفي وأنه في الحقيقة قد قتل ودفن في هذا المترل وأنها تـــزور قبره! يزعمون أن زوجها قتل والدها قبل السفر ودفنه هنـــاك أمام عينيها! وأما عن سبب تلك الإشاعة التي هزمـــت ووأدت ما تحبه الألسنة من الخوض في الأعراض هو جثـــة الكـــلاف. فأحد الكلافين في إسطبل الخيل بقـــسم الـــشرطة في المركـــز القريب من القرية عثر عليه ميتا قرب هذا البيت، كان وجهـــه شاحبا يغشاه الرعب وتحدث الناس عن أنهم رأوا على طريـــق البندر شبحا أسود يمشي يشبه الرجل التركي، يشبه والد سونا! أثار هذا خوف الفلاحين من سونا كثيرا، لا أحد مـــن أبنـــاء الأعيان أو المثقفين كان يفهم الأمر، فسونا نجم جميل ســـاطع بينهم وما يتحدث به الفقراء في خرائبهم لا يصل لأسماعهم.ثم أتى هذا اليوم، حينما نزل مأمور القسم بنفسه مع شخص من القاهرة للقرية. لم يأت رجل شرطة من العاصمة للقرية منذ أن طرد الحاج رأفت بعيدا. لكن الوفيات المتكررة التي حدثت في

عمال المركز أثارت الشكوك. الطب الشرعي يؤكد أنها وفيات طبيعية لكن الجثث دوما يعثر عليها قرب مقابر قريتهم. الحادث الأخير كان مزلزلا، تسعة من عمال الصعيد الذين أتوا للعمل في بناء المستشفى الجديد عثر عليهم موتى، وأطلق أحد الحشاشين إشاعة عن جاسوس إسرائيلي يتخلص من عمال الحكومة وكان هذا كافيا لتحرك الحكومة بكل ثقلها!

ظلت القرية لأسابيع في حالة اضطراب شديد وحين قابل المأمور سونا إذا بكل شيء ينقلب على عقب! المحققون يغلقون الملفات والشرطة ترجع لمواقعها والمأمور يعتذر للعمدة!

بعدها أتت جماعات من الصعايدة بحثا عن الثأر، أخذوا يبحثون ويسألون والغدر باد في عيونهم، لم يجبهم أحد بشيء بالطبع ثم إذا بسونا ترسل في دعوتهم لتضيفهم! عادوا بعدها للقطار مباشرة يقول الناس إن وجوههم كانت عامرة بالبشر لكن أكبرهم كان يبسمل ويحوقل!

هل يهز هذا شعرة من مكانة سونا في العائلة؟ مستحيل! بل زادت شمسها حتى كادت أن تطفئ شعلة الحاج الذي كان يرغي ويزبد غاضبا من تمرد بنت أخته واستهزائها بالتقاليد، ورغم ذلك لم يره أحد يذهب قرب منزلها لينهرها بصراخه الذي ترتج له كل بيوت القرية.

كل ذلك وهي مصرة على رفض الخطاب خاطبا تلو الآخر، ذلك البك الذي أتى من مصر وارتد خائبا أو المأمور الجديد

الذي خطبها من الحاج ليهرب من مضيفتها طالبا نقله لأبعد مكان ممكن ربما ليداوي جراح قلبه!

ضابط الجيش ابن ذلك المسئول الخطير الذي انكسر وطلب من والده نقله إلى اليمن. كل هؤلاء ردهم خائبين منكسرين، من الواضح أنها كانت تغلظ القول حقا لمن يتصور أنه بذهابه إلى الحاج قبلها قد قطع أغلب الطريق، فهؤلاء بالذات كان مشهدهم يثير الشفقة وهم يغادرون البلدة ويرحلون لأبعد مكان ممكن! في الحقيقة فإن المأمور قد قتل في حادث سيارة والضابط مات في كمين في اليمن، لقد كانت مصائر هؤلاء سيئة حقا.

بعد كل هذا تزوجت سونا، وأي زواج! زواج رج البلدة كلها من أقصاها إلى أقصاها! تزوجت الشيخ عويس فقي القرية!

الشيخ عويس عجوز حقا وكان يعمل تربيا حتى انحنى ظهره فترك المهنة لابن عمه وأخذ يتلو القرآن بصوته الأجش في المآتم وبعد وفاة شيخ الكتاب أخذ مكانه عنوة. غني عن القول أنه أشد فقرا من أفقر فقير في القرية! ماتت زوجته وهو شاب فلم يجد ما يستطيع أن يتزوج به مرة أخرى سوى بائعة العمياء التي لم تجد غيره يقبل بها.

وسونا، الفتاة التركية الثرية المتعلمة ستصبح ضـــرة باتعـــة العمياء على التربي السابق والفقي الحالي!

لو أعدت قول الأمر على الناس مائة مرة ما صدقوك! هـــذا ليس فقط مستحيل وإنما هو أبعد حتى مـــن اخـــتلاق أحمـــق كذاب! لكن سونا كانت صارمة وواضحة! بل بدأت في إعداد الزفاف بالفعل!

هنا قرر الحاج (الإخواني القديم وذو الأصول الإقطاعية!) أن يواجه سونا بفعل إيجابي! أرسل في طلب ثلاثة من شرار شباب العائلة ثلاثة أشخاص يكنون له أشد الكراهية:

ابن عمه رأفت الفاقد رد السجون ويعرف عنـــه الجـــرأة الحمقاء.

ابن شقيقته الأصغر كامل الضابط ذو الهيبة والذي يـــشغل منصبا مجهولا في السجن الحربي ويعرف عنه القسوة الشديدة

وعطوة البلطجي الذي اهم في ثلاثة جرائم قتل سابقة!

اجتمع هذا المزيج العجيب الذي يخشى كل منهم من الآخر في أي ظرف عادي وأمامهم هدف واحد: الزيجة الفضيحة يجب أن توأد.

أعطى الحاج كعادته الزمام لكامل بعده رجـــلا عـــسكريا منضبطا ذا هيبة. لكن والدة كامل وكمال خافـــت مـــن أن

تنفلت الأمور آخر ما تريده هو تورط ابنها الضابط في جريمة قتل لفقي القرية! أحست بالشر في عيون ثلاثة من الشباب كل منهم كان يعد سونا حلما بعيد المنال والشيخ عويس نفاية يركلها بقدمه. لن تفقد ابنها أو منصبه لأجل فتاة حقيرة.

وهكذا تورط الطفل الصغير كمال في الأمر، سيرافق أخاه كامل الذي أقسم على ذلك حيثما يذهب في مهمته غير المقدسة لإرعاب الشيخ المسكين كي يبتعد عن طريق الفتاة اللامعة! لن يجرؤ أحد على تجاوز الخطوط الحمراء في وجود شقيقه الطفل.

يزعم كمال أنه كان أحكم الأربعة! يقول إن الكبار كان ينظرون له باستهزاء حينما يقول إنه من المستحيل أن يكون شيخ كتّابه هو المخطئ في الأمر، من المستحيل أن يكون هو من عمل عملا ودفنه في المقابر ليصطاد بنت السلطان!

ذهب الثلاثة برفيقهم الصغير لبدء حملة من الرعب، ولكن الرعب كانا له حسابات أخرى!

***

لا يتحدث كمال كثيرا عن كيف مات عطوة، ربما يذكر زيارتهم لمنزل عويس، وكيف أن المنزل الموجود في قلب المقابر قد تهدم على رأس المسكينة باتعة العمياء التي لم تع أن الجدران حولها قد زالت فأخذت تمشي على غير هدى لا تفهم كيف

تعود لحجرتها القذرة. بكل تأكيد كل القرية تتحدث عن يـــوم جاءت المباحث لاعتقال الشيخ عويس من قلب كتابه لاتهامـــه بالتحريض على قلب نظام الحكم! فعودة شخص لمكانه بعـــد ساعة واحدة من اتهامه بهذه التهمة الخطيرة كان حدثا فريدا في التاريخ!

بعد الإفراج عن الشيخ بهذه السرعة عاد كامل غاضبا ومعه عدد من المخبرين لإعادة اعتقاله لكن الغريب أنهـــم اختفـــوا جميعا! يقال إنه لم يعثر لهم على أثر وأثار هذا بالطبع تحقيقـــا على يد كامل في استخدام طريقته وهنا سمح لعطوة (غير المقيد بطفل يجره في كعبه!) بزيارة الشيخ ليلا.

يكتفي كمال الصغير بالحديث عن العثور على جثة عطـــوة في الصباح. الغريب أن نصف أهل القرية يقسمون أنهـــم رأوا الغلام الصغير يحمل كيسا ويمشي جوار عطوة وهمـــا ذاهبـــان ناحية المقابر. لماذا خرج كمال مع عطوة ولماذا ينفي هـــذا لا أحد يعرف، كل ما يعرفه الناس أنه عند الفجر عثـــروا علـــى جثة عطوة ميتا وعلى وجهه أعتى علامات الرعب في غيط أبو المكارم، في الطرف الثاني من القرية بعيدا تماما عن المقابر!

كان رأفت قد استنزف محاولاته في زيارة سونا بلا جدوى، ولما مات عطوة وفشل كامل اجتمع الاثنـــان يـــدبران خطـــة جديدة. هنا يصمت كمال ولا يذكر ما حدث بالضبط، فقط يقول إن الزيجة قد تمت واستمرت خمسة أعوام كاملة في منزل

العروس المجاور للمقابر. أما رأفت فقد عاد للقاهرة ليجد حملة الاعتقالات في انتظاره واستشهد كامل في حرب ٦٧.

هناك صياغة مختلفة للأحداث يتبناها أقارب الــزوج الأول لسونا شوكت بك. هؤلاء يتحدثون عن وفاة شوكت الغامضة (رغم أن الرجل كان مسنا) وعن مراقبتهم المستمرة لسونا التي تبدد أموال العائلة بعد أن استولت عليها وكيف أنهــا كانــت تخرج من بيتها إلى المقابر كل ليلة. لا أحد بالطبع يصدق قول أولئك المأفونين عن عشاء رومانسي وسط المقابر! إن كانــت سونا تخرج لمقابلة أحد فيها فلم ير الناس هناك إلا ثلاثة! الفقي نفسه والشبح المزعوم لوالدها وكمال نفسه الذي كان يذهب كل أسبوع لجمع السحالي والحشرات الغريبة كهوايــة تــثير الاشمئزاز مازالت ترافقه حتى اليوم!

هناك كذلك هذا المعتوه الدجال الذي قبضوا عليه ينبش في المقابر في وضح النهار! طبعا لم يكن كلامه واضحا بعدما فقد أسنانه على أيد لم ترحمه لكنه أخذ يتحدث عن طفل الشيطان الذي دفنته سونا في المقابر! وقد بلغ به الجنون أن يتحدث عن عويس أنه كان مسكينا حقا ومسجونا منذ سنوات في مقــبرة مغلقة بينما كل الناس تراه بوضوح أمامها يخرج ويدخل مــن بيت زوجته كيفما شاء!

هناك تلك الورقة التي يزعمون أن رأفت كتبها في السجن. لا أحد يعرف ما فيها لكنهم يقولون أن زملاءه في معتقله الأخير كانوا يتحدثون عن أنه فقد عقله وعاد للتفكير في خرافات رجعية بسبب انكسار حبه لسونا. في الحقيقة بحث بعض زملاء كمال عن هذه الورقة كثيرا يريدون إكمال قصة صديقهم المتكررة.

فالكثيرون لا يكتفون بهذا القدر من الأحداث. الأمر غريب حقا يثير الفضول، لا يعرف أحد ما حدث ليلة ذهب كمال مع عطوة ولا ما حدث لأولئك العمال المساكين أو الخطاب الذين ماتوا واحدا تلو الآخر. الكثيرون يعدون الأمر مبالغة ممجوجة. لم يكن هناك معنى لتكرار كمال لتلك القصة المبتورة أثناء استعداده لزواجه الغريب.

عندما يتزوج كمال بعد كل هذه السنين من سونا فإن في الأمر سر حتما.

***

مقال في جريدة الاتحاد النضالي:

أمس عثر على جثة مناضل قديم عرفه الكثير منا السنوات المظلمة ثم بغتة قضى حياته في ترحال وهروب بعدما اجتمع عليه وطأة التعذيب مع انكسار القلب. ربما لا يذكر الكثير منا

رأفت صبيح الذي عثر على جثته في يوم زفاف محبوبته الثالث واضعا في يده ورقة مهترئة هي وإن حملت مس الجنون وإن دلت على كيف تعبث جراح القلب والجسد بالعقول المستنيرة حتى تردها لأفكار العصور الوسطى لكنها تحمل بين سطورها أحاسيس نبيلة ومشاعر عميقة في قلب كسير لا أرى رثاء له خير من الذي كتبه لنفسه.

"اليوم ينتهي الأمر، سيقترن القمر بالنجم ويجتمع الشيطان بصنيعته وينتهي كل شيء، حتما سيعثرون علي ولا منفذ لي. أين كانت المنافذ يا شيخ عويس وأنت تحارب في محبسك ٥ أعوام كاملة؟

آه يا سونا، يا شمس الظلام وغروب الآمال وانتهاء المقاصد. آه يا فاتنة العيون ضحية الأهل وضحية نفسك.

كم أشفق عليك؟ كم أعي ما عانيته حينما عانيت منه؟ من كان يتصور أنه هو؟ من كان يتوهم أنه هو؟ أعلم ما تفعلين وأعلم حالتك الغريبة، ستفكرين حينا وترتدين حينا لكنك في مأزق لا نجاة منه مثلي تماما.

أذكر يوم رأيتك تعودين من المدرسة فرحة بأول درس فرنسي. آه! كم كانت شعورك منسدلة وكيف كان إشراق وجهك يضيء ظلمات قلبي الساخط!

نبراتك الساحرة تذهب بعقلي كلما تذكرتها! حتى وأنت تتلين تلك الكلمات الرهيبة في الليلة المشئومة. لا داع لتذكر

تلك الليلة. أرتجف مما رأيت بينما المسكين عويس عانى منـــها خمسة أعوام كاملة.

تبا له! كيف صمد كل هذا! أنا لم أنج إلا بالهروب لكنـــه ظل في مكانه قابعا خاملا ككل متخلف مثله يتـــصور أنـــه يتحصن بآيات وكلمات. أعترف أن الآيات والكلمات جعلته يصمد خمسة أعوام كاملة وأعترف أنه لولا العمياء المـــسكينة وما أخذت تردده في أذني لأكرره لما نجوت حتى اليوم ولخـــرج هذا الشيطان من أسره يطلبني.

تبا له لماذا سلمت نفسي له من أول يوم؟ كان يستغلك من صغرك ليذهب بعقلي ويسحر أفكاري، كما اســتغل أمـــك المسكينة لتحمل له وجها آدميا. لكنها هزمته، على الأقل حتى ضعت أنت ورحلت لبلاد لا تجدي فيها ما يحميك من الـــشر المدفون داخلك.

أذكر الليلة المشئومة بوضوح، خرجنا ثلاثة، أنـــا وكامـــل وعطوة، وفي ذيلنا هذا الصغير اللعين. كان مشهد المقـــابر في الظلام مخيفا. يختلف الأمر كثيرا عن زيارتنا الأولى في وضـــح النهار التي استهزأنا فيها بباتعة العمياء. كانت الشواهد تبدو لنا منذرة والطين أسفلنا يعرقل أقدامنا متوسلا لنا أن نرجع. لكن بلا فائدة نمضي لأقدارنا.

كان تسلق السور سهلا، والقفز على نافذة تلك الحظـــيرة المتهدمة أسهل وجررنا الشيخ المنحني من ذقنه وذهبنا إلى قلب المقابر.

أرسلنا عطوة مع الصغير المأفون ليمشي أمام النـــاس هنـــا وهناك يلهي عيونهم. وأرقدنا الأحمق على ما ظنناه قبره. كانت السكين حامية حقا ستريحه لن تؤلمه. سيقطع رأسه في لحظات خاطفة!

وانقطع الرأس متدحرجا أسفلنا.

إنني أرتجف وقلمي لا يطاوعني على خط تلك الكلمـــات. كان قلبي متحجر لا يرتدع عن ارتكاب جريمة قتل. لكنه ارتجف إذ رأى الرأس يتدحرج بعيدا عن أيدينا. لم أنتبه للدماء كـــأي أحمق مغفل. أخذت أجري وأجري وراء رأس لا يريد التوقف حتى تلك الحفرة السبخة التي لا تصلح للدفن.

أتى كامل خلفي يجر الجسد ووجهه شاحب. قلت بعـــدما اطمأن قلبي لثبات الرأس أسفل قدمي : لا تخش شـــيئا. هنـــا أفضل مكان لدفنه!

قال بصوت مرتجف : لا توجد دماء!

لم أفهم حتى سلطت الكشاف على الجسد النحيل الـــذي يجره. بالفعل الشيخ عويس لم يترف قطرة واحدة رغـــم أننـــا

فصلنا رأسه عن جسده! للحظة حاول عقلي المقتنع بالمادة فقط أن يوهم نفسه بوجود تأثيرا ما للسكين الذي استخدمناه حينما ضحك!

نعم ضحك! أنا لم أتوهم، أعوام طويلة أكذب على نفسي وأقول إنها كانت ضحكة كامل! كلا يا رأفت أنت تعرف أن الرأس أسفل منك أخذ يضحك! ربما أصابني الجنون أو الهلوسة لكنه ضحك فقفزنا فزعين! قال لنا الشيخ عويس فيما بعد أخشيتم رأس ميت يضحك و لم تخشوا عقاب الله لقتلكم بريئا؟

نهض الجسد والتقط الرأس وبانت ملامحه الحقيقية، الشعر الأشقر والعيون الزرقاء والوجه الصارم المتجهم المتغطرس! البك التركي الذي تتلمذت على يديه طويلا في أفكار المادة والعلمانية رغم أنه كان يزعم للناس أنه فار بدينه! الرجل الذي يفترض أنه مات من سنين تاركا خلفه فتاة أحببتها كان ينهض من تحت قدمي يلتقط رأسه المقطوع ليواجهني بعينه!

قال لي بلهجته الأجنبية الغريبة التي لا أظنها تركية أبدا : اشتقت لي كثيرا يا رأفت أليس كذلك!

شحب وجه كامل بشدة واختفى صوته أما أنا فأخذت أصفع نفسي لأوقظها. هذه هلوسة حتما هي كذلك!

ثم أتى الصوت العميق، الصوت الخافت الأشبه بالحفيف من خلفنا : دعك منهم ولنكمل عملنا.

التفتنا خلفنا ننظر له، ظهر من حيث لا ندري بغتة ورأسه الذي لا يعلو الأرض إلا بأشبار صغيرة قد توهج حتى أصبح كشعلة من جمر.

قال التركي المزعوم : سيدي القمر مقترن، لن يتكرر الأمر إلا بعد عشر سنوات فلنستغل الفرصة.

رد بذلك الصوت الذي لم نتخيل أن يصدر منه قط : لن ينفع، مازالت ابنتك تقاوم. باتعة اللعينة تعينها وتقويها! لو لم تكن عمياء لاستطعت الخلاص منها منذ زمن. الأمل الوحيد أن يكون هذا المأفون قد مات وإلا فلن تتحرر الفتاة لتفتح لنا الباب.

قال التركي: خدمتك سيدي مئات السنين ولا أستطيع فهمك. لنقتله وننتهي منه.

غضب فأرجف الأرض تحت أقدامنا وجعل المقابر تنفض ما فيها لتتناثر حولنا الأكفان والعظام النتنة فوق رؤوسنا.

قال بفحيحه: أيها الأحمق هذا هو الباب! لا يفتح هكذا أبدا لقد ألقى الملك القديم بشرارنا خلفه وأحكم غلقه. أي فعل عنف سيضيع فرصتنا للأبد.

قال كامل مرتجفا: الباب؟ أنت..................

رد عليه بسخرية مزقت الهواء حولنا كالسياط أعنف من سياط جلادي المعتقل : لا تخف ليس يوم القيامة بعد. على أي

حال لقد كنتما خادمين مخلصين لي دون أن تـــشعرا، والليلـــة سأمنحكما الخيار بين أن تتبعاني حتى الخلود والـــسؤدد وبـــين الموت! ائت بهما يا زعبول!

صفق التركي بيده فأتيتا مقيدين في أغلال ثقيلـــة. حـــب حياتي كان يجر على الأرض مهانا ذليلا، مهما أتيت به أيهـــا الحقير فلن أتبعك أبدا!

ألقى بباتعة بعيدا خلفي ثم جر بسنت محبوبتي من شـــعرها الذهبي وغرس أصابعه الدقيقة التي التهبت كالنـــار في ذراعهـــا صارخا: اتلِها.

صرخت في ألم وبكت، أخذت تتلو كلمات مقبضة غـــير مفهومة بينما هذا الملعون يقول بفحيحه: أسرعي أســـرعي لا وقت لدينا.

ارتجفت الأرض رجفة عظيمة حتى تعجبـــت لم لم تنقلـــب على عقبها، وإذا بالسبخ الذي تحت أقدامنا ينشق فاتحا بابا من لهيب ودخان والتركي يصرخ في حبور: ها هو ذا ها هو ذا!

وإذا بصوت أجش لكنه غامر بالإيمان ثابت القوة يطلع من تحت النار بآيات المعوذتين.

صرخ الملعون يضرب بقدميه الأرض في غضب : تبا له! لم يمت بعد! تبا له! كل هذا الخوف و لم يمت بعد!

قال التركي: لا فائدة يا مولاي، مادام قد اقترن بسونا فلن تستطيع أن تفتح لنا الباب حتى تتحرر منه. اللعينــة خــدعتني وذهبت إلى الجانب الآخر. لنقتلها ونبدأ من البداية.

قال اللعين: لن أنتظر كل هذا العمر ثانية. لقــد أعــددت رأفت وأعددت مترل المقبرة وجهزت سونا بمالي وثروتي ولــن أبدأ من البداية. سيظل هذا المأفون مدفونا هنا حــتى يمــوت وتبقى أنت مع ابنتك. سأبقى أنا كامن في هذا الصغير الحقــير حتى تحين اللحظة. العجوز لن يعش حتى الاقتران القادم. لأصبر عشر سنوات وحينها سيكون جسدي هذا مناسبا لها. اتــرك أخوه وتخلص من هذا الأحمق فلم يعد مــن المفيــد أن أنتقــل لجسده.تحرك التركي نحوي فشهرت السكين في وجهه. ضحكا بسخرية فماذا تفعل السكين في شخص جزت رأسه للتــو؟ لكني قذفت السكين تجاه الصغير فارتعب. تراجعت أريد العدو فتعثرت في جسد ما. كانت باتعة العمياء التي أخذت تقول لي :قل أعوذ بالله منهم، اقرأ خلفي المعوذتين. هيا أيها الأحمق وإلا لن نعيش حتى يأتي الفجر.

وعشت حتى الفجر، ربما لم أكن أملك الإيمان الكافي للنجاة يومها لكن باتعة كانت تملك ما يكف لكلينا. على أية حال ما الفائدة؟ لقد قضى الأمر وأتم الزمان دورته.

والمسكينة سونا الأسيرة، بذلت كل في وسعها لتقاوم! لكن ماذا تفعل؟

سأموت الآن يا سونا. فقط أخبرك أنـــي كنـــت أحبـــك وسأظل أحبك ولكني أجبن من أن أعود لمواجهة هذا الشيطان الذي سيزف عليك."

محمد الدواخلي



أرض الظلال



جلست أفكر في القيام بمغامرة جديدة كتلك التي قمنا بها في العام الماضي حيث ذهبنا إلى بحيرة الموت ولكن هذه المرة كنت أبحث عن مغامرة جديدة ومتميزة لم يقم بها أحد أخذت أسال أصدقائي عن أي مكان من الممكن الذهاب إليه ولكن جاءني الكل بأماكن لم أشعر يوما بأنها مكان لمغامرة متميزة ولكن جاء أحد أصدقائي وقال لي في لهجة خوف واضحة إنه لديه المكان المناسب لمغامرة لم يقم بها أحد منذ فترة طويلة حيث الخوف والرعب القاتل وهنا قررت أنها ستكون محطتي التالية في مغامرتي القاتلة ولكنه الوحيد الذي لم يأتِ معنا حيث قال إنه لن يذهب بنفسه إلى تلك الأراضي.

أراضي الوادي البعيد

أخذت أنا وأصدقائي في التجهيز لتلك المغامرة الجديدة والتي حذرني منها صديقي جاك ولكني لم أصغ له يوما و لم أعلم لما شعرت بخوفه ولكني صممت على الذهاب حتى أعلم

لم كل هذا الخوف وقد أخذ يحذرنا من خوفنا وطلب منها ألا ننصاع لخوفنا وألا نصدقه حتى نرجع بسلام ولكني لم أسمعــه قط وجاءت اللحظة الموعودة حيث نصحنا أن نقول كلمة سر عند رؤية أحدنا للآخر ولكن لم يصدقه أحد.

ذهبنا إلى محطة القطار وطلبنا خمسة تذاكر إلى الوادي البعيد ولكن لم نجد تذاكر لذلك المكان وعندما سألنا جاك قال لنا لا توجد تذاكر للوادي لعدم ذهاب أحد إلى هناك منذ قرون وإن آخر شخص ذهب إلى هناك لم يرجع قط و لم يعــرف أحــد مكانه -فماذا حدث له؟!- وهذا جعلني أصمم أكثــر علــى الذهاب إلى هناك أنا وأصدقائي حتى نبحث عنه ونكــون أول الناجين من الوادي والمحطة التي بعده وهي " أرض الظلال ".

أخذنا الخريطة وركبنا جميعاً السيارة وانطلقنا في طريقنا إلى رحلتنا المجهولة كما وصفها (ألكس) ومع مرور الوقت أخــذنا في التفكير ماذا يوجد في الوادي البعيد وأرض الظلال مما جعل جاك يرفض وبشدة أن يذهب معنا على الرغم من حبه الشديد للمغامرات المميتة كما كنا نوصفها دائما وبعد مرور عــشرة ساعات وصلنا للوادي البعيد وكانت مفاجأة مخيبة للآمال لنــا جميعاً حيث كان كل شيء هناك جميلا وليس كمــا توقعنــاه وليس كما وصفه جاك مما خيب ظننا حيث كنا نرجوا مغامرة مثيرة نرجع منها نحكي للجميع عنها كما في كل مرة .دخلنــا الوادي البعيد وكلنا في حالة من اليأس الشديد لعدم وجود أي

شيء مما توقعناه ولكن لم نرفض دعوة الـدخول إلى الـوادي البعيد حيث كان الفضول يقتلنا لمعرفة ما يوجد داخله ؟ وهل داخله كما ظاهره ؟ وكما توقعنا أن داخله مثل ظـاهره بـل أجمل بكثير من الظاهر وهناك التقينا بالشخص الذي ذهب و لم يعد حيث كنا نوصفه بالضحية في المدينة وهو ألكسندر والذي أخبرنا أن أراضى الوادي البعيد هي أجمل الأراضي الـتي قـد تراها في حياتك حيث الأراضي الخضراء الـشاسعة والـسماء والشمس والماء العذب والأنهار المتدفقة ولكن لم تعجبنا الإقامة هناك.

وقررنا أننا سوف نذهب من هذا المكان بأسرع وقت لأننا لم نجد فيه أي شيء يوحى بإثارة كما كنا نتوقع ولكن مـا لم نكن نتوقعه أن وراء تلك الأراضي الجميلة توجد أرض المـوت كما كان أهل الوادي البعيد يطلقون عليها ولكن بعد معرفتنـا بذلك قررنا أنها ستكون وجهتنا التالية وتمنينا أن تحتوى علـى الإثارة والمغامرة المنشودة وقمنا جميعاً بتجهيز أغراضـنا حـتى نرحل في الصباح الباكر حتى يكون اليوم معنا بأكمله وحـتى تكون مغامرتنا من الفجر إلى الفجر الآخر كما وصفناها.

وفى صباح اليوم التالي تحركنا بالسيارة بعد أن وضعنا فيهـا كل أغراضنا وحتى الهدايا التي أعطانا إياها أهل الوادي البعيد. ولا أعرف لماذا رأيت في أعين الناس نظرة لم ترحني قط كما لو كان أهل الوادي يخبروننا بألا نذهب قط إلى تلك الأراضـي ولكن ذلك لم يوقفنا بل جعل إصرارنا على الذهاب إلى هناك

أكبر وبالفعل تحركنا بالسيارة وبعد ساعتين من القيادة في الأدغال الوعرة والتي لا يجرؤ على دخولها أي إنسان طبيعي وصلنا إلى أرض الظلال.

وصلنا عند لافتة تقول " الرجاء عدم الدخول مطلقاً مهما حدث " ولكن هذا أيضا لم يوقفنا عن الدخول إلى أرض الظلال ولكنه زاد من إصرارنا ودخلنا و لم نلاحظ أي شيء سوى أن كل شيء باللون الرمادي أو كما نطلق عليه نحن الشباب لون فراني بالإضافة إلى عدم وجود أي شكل من أشكال الحياة مما أثار خوفنا وقرر البعض منا الرجوع إلى الوادي البعيد ومن بعده الرجوع إلى المدينة ولكن في تلك اللحظة تغير كل شيء عندما نظرنا إلى الخلف لم نجد لافتة التحذير والتي كانت موجودة أثناء دخولنا ولحظتها عرفنا أنها ستكون أكبر مغامرة قمنا بها ولكننا لم نعرف أنها ستكون آخر مغامرة لنا...؟! بدأنا المشي في الأراضي الرمادية حيث كل شيء مصبوغ باللون الرمادي كل شيء حتى الحشائش الأرضية والسماء كما لو كنا في علبة للون الرمادي فقط مما جعل الخوف يدب في قلوب الجميع حتى أنا لم أشعر بخوف مماثل له من قبل في أية مغامرة من قبل.

قررنا أن ننقسم إلى ثلاث مجموعات حيث هناك مجموعتان كل منهما مكونة من اثنين أما الثالثة فمكونة من فرد واحد فقط وكان هذا الفرد هو أنا قررنا أن نفترق ونبحث عن أي شيء مثير قد يساعد في إثارة المغامرة أكثر ويجعلها مميزة

ونجتمع بعد ساعة في نفس المكان لم نكن نعلم أنها أسوأ فكرة فكرنا فيها.

ذهب الفريق الأول والمكون من (ألكس) و(روز) إلى اليمين أما الفريق الثاني والمكون من (إل) و(روجينا) إلى اليسار أما أنا فذهبت إلى الأمام مباشرة ولأني كنت بمفردي قرر الفريقان أن نكون على اتصال دائم ببعضنا البعض بواسطة أجهزة لاسلكية كنا قد جلبناها معنا من المدينة وافترقنا على أمل اللقاء مرة ثانية وأثناء سيرى في الأدغال الوعرة شعرت بمن يتـــبعني وعنـــدما نظرت خلفي شاهدت (ألكس) والذي من المفروض أن يكون مع (روز) وعندما سألته قال إنه خاف علي من الأدغال وقرر أنه سيأتي معي وبأننا سوف نقابل (روز) في المنتصف بالضبط ولا أعرف لم لم أسترح لكلامه قط؟ خصوصا عندما أخــبرني أنه ترك جميع متعلقاته مع (روز) وأثناء مرورنا وسط الأدغـــال شعرت بمن يتبعنا مرة أخرى وبالفعل نظرت إلى الخلف ورأيت (روجينا) وعندما سألتها قالت إن (إل) طلب منها أن تـــرافقني حتى لا أضيع في الأدغال بمفردي وهي أيضا لم يكن بحوزتهـــا متعلقاتها مما أثار الشك في نفسي وعندما حاولـــت الاتـــصال بـــ(إل) أخبرتني (روجينا) أن (إل) فقد جهاز الاتصال الخاص به مما أثار الخوف داخلي عليه لأنه مع هذا الجو من الممكن أن نفقد أحدا منا ولا نعلم مكانه قط. وأخذنا أنـــا و(ألكـــس) و(روجينا) في التقدم ومع كل خطوة كنت أخطوهـــا برفقـــة (ألكس)و(روجينا) كنت أشعر أني كنت مخطئة عندما لم أسمع

كلام (جاك) ولكن الأوان كان قد فات و لم أستطع أن أغـــير النتيجة ومع تقدمنا كنت أقابل أحد أفراد الفريق حتى تجمعنـــا كلنا أنا و(ألكس) و(روز) و(روجينا) و(إل) وعندما قررت أن نرجع إلى المعسكر حتى نستريح لم يوافق الجميع على كلامـــي وقالوا إننا لم نجد أي شيء حتى الآن مثير للاهتمام ويـــستحق عناء الرحلة ووافقتهم ولكن كان داخلي صوت يخـــبرني بـــألا أوافق قط على شيء كهذا ولكني تجاهلته.

واستمرت الرحلة على هذا الحال و لم أحاول الاتصال بأحد بما أهم كانوا جميعاً معي ولكن كانوا جميعاً بدون أدواهم ممـــا أكد الشك داخلي بأنه يوجد شيء غير طبيعي في هذه الرحلة وعندما حان وقت النوم طلبوا ألا نرجع إلى المعـــسكر حـــتى نكون في الصباح عند نقطة الانطلاق ولكني صـــممت علـــى الرجوع إلى المعسكر وتحت الضغط الشديد وافقت المجموعـــة على طلبي وبالفعل رجعنا جميعنا إلى المعـــسكر وكنـــت أول الواصلين إلى المعسكر حيث أنه بعد وصولي أنـــا والمجموعـــة لاحظت وجود صوت يشبه صوت (ألكس) ولكني كـــذبت نفسي حيث أنه وصل معي ولكن ما أثار حيرتي أكثر أنه كان معه صوت آخر يشبه صـــوتي وعنـــدما خرجـــت فوجئـــت بـــ(ألكس) وكنت أنا معه...؟!!

لم أستطع الكلام أو الحركة وعندما لاحظ (ألكس) وجود اثنين مني توقف عن الكلام وأخذنا في النظر لبعـــضا الـــبعض وأثناء ذلك ظهر (ألكس) الآخر والذي كنت قـــد أكملـــت

الرحلة برفقته هو والآخرين وأثناء توقفنا في المخيم ونحـــن في حالة من الذهول ظهر الباقون !!!!!

ظهر باقي أصدقائي وكنا في هذه اللحظة قد تجاوز عـــددنا الخمسة عشر حيث كان كل منا له اثنان يـــشبهانه جـــداً و لم نعرف أي من هؤلاء هو الشخص الحقيقي وبدأ الشك يدب في قلوبنا فكيف ندخل أرض الظلال خمسة وأثناء عدة ســـاعات نصبح خمسة عشر شخص ؟!.. لكل واحد منا اثنان يـــشبهانه جداً لم أفكر كثيرا في هذا الوضع وأخذت في البحـــث عـــن أجوبة وعندها بدأ البعض منا التشكيك فيّ على أساس أني فرد من الأفراد الوهمين وعلى الرغم من معرفة أصدقائي بي جيـــداً فقد تم خداعهم ببساطة وحاولوا أن يقتلوني على أســـاس أني دخيلة عليهم ولكني استطعت أن أهرب منهم .

مرت أيام و لم يستطع أحد أن يفهم الوضع وحاولنا جميعـــاً أن نهرب من هذا المكان ولكن فشلت كل محاولاتنا و لم يستطع أحد منا أن ينجوا بنفسه .

أخذنا في البحث عن أجوبة ولكن دون جدوى ومع مرور الوقت ومع تفرقنا عن بعضنا البعض التقيت بـــ(ألكس) والذي كانت له علامة مميزة له وهي سلسلة لا يخلعها أبدا من رقبتـــه وهي التي أكدت لي أنه صديقي (ألكس) وهو الآخر تأكد أني صديقته (جاكي) من الخاتم الذي كنـــت أضـــعه في إصـــبعي الأوسط في اليد اليمنى والذي أهداني إياه في عيد مولدي ولكن

في نفس الوقت الذي اجتمعت فيه بـــ(ألكس) كانـــت (روز) قد التقت بـــ(ألكس) الشخص الذي يشبه (ألكس) الحقيقـــي وأثناء ذلك استطاع أن يقنعها أنها لن ترجع مرة أخرى وأخـــذ في إيهامها بأشياء ليس لها أساس من الصحة وبفضله وبفـــضل قدرته على الإقناع جعل (روز) تقتل نفسها. ما حـــدث مـــع (روز) حدث مع (روجينا) وكذلك (إل) مات كل أصـــدقائي ولم يبق إلا أنا و(ألكس) أقسمت على قتل هؤلاء حـــتى لـــو استدعى ذلك موتي وبدأت رحلة الانتقام من تلك الأراضـــي التي أخذت أصدقائي وقتلتهم.

بدأنا في التقدم مع بعضنا البعض ولكن هذه المـــرة نفـــذنا كلام (جاك) ووضعنا كلمة سر وفي كل مرة نفترق فيها كنـــا نغير كلمة السر ولا ننطق بها بصوت عال خوفاً من أن يكـــون هناك أحد من تلك الأشباه تراقبنا وتسمعها وتستخدمها لقتلنا وفي أول مرة افترقنا فيها قابلت (ألكس) والذي يشبه (ألكس) صديقي والذي جاء معي في تلك المغامرة المشئومة وحاول أن يقنعني أنه (ألكس) صديقي ولكني لاحظـــت عـــدم وجـــود السلسلة حول عنقه مما أكد لي شكي واستطعت أن أهرب منه وبعد بحث طويل قابلت أخيرا (ألكس) صديقي وأخبرني بدوره أنه قابل (جاكي) والتي تشبهني جدا ولكنه عرف أنها ليست أنا عندما لاحظ عدم وجود الخاتم في إصبعها وهرب منها بعذاب.

مفترق طرق.

أخذنا في البحث عن أجوبة قبل البحث عن طريقنا للهروب من هنا وبعد مرور يومين علينا في هذا العذاب لاحظنا أننا خرجنا من الدائرة المفرغة والتي كنا نسير فيها وبالفعل خرجنا عن مسارنا والذي أكد لنا إحساسنا بأنه توجد أجوبة وكذلك أكد لنا وجود طريق للخروج من تلك الأراضي المفزعة.

بعد خروجنا من مسارنا لاحظنا وجود طلاسم ورسومات وكأنها إشارات تدل على طريق ما وبالفعل اكتشفنا أنها تؤدي للطريق ولكن كان هذا الطريق هو بالنسبة لنا مفترق للطرق حيث وجدنا فيه كل الأجوبة عن أسئلتنا والتي لم نعرف إجاباتها قط منذ وصولنا إلى تلك الأراضي .

كانت توجد الألواح تشرح حكاية تلك الأراضي منذ الأزل حتى هذه اللحظة وأيضاً ذكرت عدد الأشخاص الذين ماتوا في محاولة الخروج من هنا ولكنهم فشلوا وعندما وصلنا لتلك النقطة لاحظنا وجود أسماء جميع أصدقائنا الذين ماتوا وكذلك اسمي أنا و(ألكس) وكنا أول الأشخاص الذين سيخرجون من تلك الأراضي.

حكاية أرض.

كانت حكاية تلك الأراضي من أبشع الحكايات التي سمعتها في حياتي حيث ذُكرت في الألواح أن تلك الأراضي كانت من

أجمل الأراضي حيث كانت ضمن أراضي الوادي البعيد والتي لم يعرف أي شخص قصتها قط ولا حتى مكانها وكل من زارها كان يبحث عن مغامرة مثيرة ووجدها بالصدفة وكانت مُستقرا له بعد ذلك وبعد تجمع عدد لا بأس به من البشر في أراضي الوادي البعيد خرج منهم شخص وحاول أن يضع قوانين لها ويحكمها .

كان يطمع في أن يكون صاحبها ويمتلكها كلها ولكن أرواح الأسلاف صاحبة أراضي الوادي البعيد رفضت وحذرته ولكنه تجاهلها وبالفعل تملك جزءا من تلك الأراضي وأخذ في فرض سيطرته عليها وقتل كل من يحاول أن ينشر العدل بين أهل تلك الأراضي وبعد مرور قرن أعلنت أرواح الأسلاف الحرب على ذلك الشخص ولم يكن هذا الشخص يحكم وحده وإنما كان له أعوان في كل منطقة من تلك الأراضي والتي فرض عليها سيطرته وبعد حرب دامت أكثر من شهر أعلنت باقي أراضي الوادي البعيد أنها لن تخضع للملك الظالم وأخذت تساعد أرواح الأسلاف وبالفعل بعد فترة وجيزة انتهت الحرب ولكنها خلفت وراءها أرضا ميتة لا يجرؤ أحد على دخولها وحتى يحافظ الأسلاف على باقي الأراضي وضعوا لعنة على كل أراضي الوادي البعيد المعلومة منها والمجهولة وكانت أرض الظلال صاحبة أكبر نصيب من اللعنة حيث أكملت الأرواح المظلومة والتي قتلها الملك الظالم هذه اللعنة وعاقبوا كل من حاول أن يدخل تلك الأراضي بهدف آخر غير المتعة .كانت

أرواح الأسلاف والأرواح المظلومة تعاقب كل من يدخل ويحاول أن يأخذ معه أي شيء من تلك الأراضي حتى يتباهى به أمام الآخرين وأيضا تقتل كل من تشعر أن له نفس قلب الملك الظالم حيث كانت تلقي عليه اللعنة ويتحول إلى ثلاثة أشخاص ولا أحد يعرف من الشخص الأصلي إلا الشخص الذي يحبه بصدق وبدون أي غش .

كانت الوسيلة الوحيدة للخروج من تلك الأراضي أن يتمنوا ذلك بنية صافية وأيضا الرجوع إلى نقطة البداية مرة أخرى من عند اللافتة التحذيرية والتي تجاهلوها وبالفعل تمنيت أنا و(ألكس) أن نخرج من تلك الأراضي بعدما رجعنا إلى نقطة البداية مرة أخرى عند مكان اللافتة التحذيرية ولكن بعد فوات الأوان كنا قد خرجنا . بعدما خسرنا جميع أصدقائنا

رجعنا إلى أراضي الوادي البعيد وفرح برجوعنا أهل الوادي وأخبرونا أننا أول الأشخاص الذين دخلوها وخرجوا منها. رجعنا أنا و(ألكس) إلى المدينة وبعدها قررت أن المغامرة التالية ستكون أراضي الوادي البعيد .

دعاء منير

حكايات ليلية



١

(البائع المتجول)

" اسمحي لي سيدتي بإزعاجك في هذه الساعة .. امنحيني دقيقة من وقتك .. دقيقة واحدة من فضلك .. فنحن، للأسف، الباعة المتجولون ليست لدينا أوقات عمل محددة .. دائما نجري في سلالم العمارات ونطرق أبواب الشقق. لا.. أؤكد لك سيدتي.. دقيقة واحدة فقط .. تجربة مهداة من الشركة .. سيدتي، يتعلق الأمر بنوع جديد من المنظفات.. نوع ثوري أقول.. عفوك سيدتي أرجوك .. منظف هائل .. ها.. أنت أيضا مندهشة؟ .. الجميع مندهش منه لأنه ليس هائلا في حجمه .. بالطبع سيدتي بل على العكس تكفي رشة واحدة .. رشة خفيفة فقط.. هل لديك بالصدفة غسيل سيدتي؟ إذا سمحت يمكن إجراء التجربة في المطبخ أو الحمام.. هنا .. هكذا .. ما رأيك سيدتي ؟ لاحظي هذا البياض .. رشة واحدة فقط.. لا يا سيدتي .. لماذا أنت عصبية هكذا .. نعم .. نعم .. نعم .. كوني لطيفة يا جميلتي، تعقلي يا طفلتي، هيا لا

تقاوميني، لا تصرخي، اسكتي، اسكتي بالله عليـــك .. الآن لا تقولين شيئا هه؟.. هيا .. يمكنك النهوض .. ماذا تنتظرين ؟.. قلت انهضي .. ما بك ؟

يا إلهي ماذا فعلت ؟؟؟؟؟"

٢

(حنان)

كانت جالسة على بعد مترين. الدماء تغرق ملابسها وتسيل على الأرضية. خنجر كبير مغروس في صدرها حتى مقبضه، وعيناها تحملقان في شاشة التلفاز التي تعرض فيلما سخيفا حقق أعلى الإيرادات.

كم تبدلت يا (حنان) ؟

الفتاة الرقيقة الهشة، تحولت إلى بالون قبيح. الفراشة الوديعة انقلبت نمرة متوحشة.

أصبحت لا تكفين عن الكلام والمشاكسة والعناد والصراخ، حتى سئمت الكلام معك بعد أن سئمت جسمك وطبيخك.

أنفث دخان السيجارة بتوتر، و أرشف من قدح القهوة.

لم أحب التدخين يوما، لكن الذي يعيش معك سيدخن أفيون العالم كله لينسى للحظة أنكِ زوجته.

لقد جعلت حياتي جحيما لا يطاق. صرت بالنسبة لك العبد الذليل الخضوع بعد أن مكنتك من أسراري وسلمتك مفاتيحي .. كل مفاتيحي.

أكان خطئي أني أحببتك ؟

لا طعم لهذه السيجارة ... لا طعم لأي شيء مذ ارتكبت الحماقة الكبيرة وتزوجتك. (حنان) ... هه! لا تملكين شيئا من هذا الاسم أيتها ... أيتها الـ ..

- فززز قوم إنت بتعمل إيه؟

أيقظني صوتها النفار من هلاوسي، تبخرت الدماء والخنجر المغروس في صدرها، والسيجارة من أصابعي، وقالت وهي تنفث دخان سيجارة حقيقية وتعود لمشاهدة الفيلم السخيف :

-إنت مش سامع البت بتبكي ؟... روح غير لها ورضعها عشان تنام ... جاتكو البلاوي رجالة آخر زمن .

أسرعت بهلع أنفذ ما تأمر به وأنا أقول بصوت أقرب للبكاء:

- حاضر ... حاضر ... حرضعها حالا.

وعادت هلاوسي تصورني بثديين عامرين بالحليب كضرعي بقرة.

٣

(يحبها)

أحاط وجنتيها بكفيه. نظر إلى عينيها الصافيتين بحنان جارف. كانتا قد فقدتا بريقهما السابق، لكنه كان يشعر بهما كما كان دائما يشعر، كانتا تخترقانه إلى الأعماق كشهابين من الضوء السرمدي.

أنفها .. أنفها الدقيق الذي بدا وكأنه رسم بريشة فنان عبقري، أنف طفل رضيع يثير لذة المداعبة.

فمها .. فمها الذي تحيط به شفتين مكتنزتين ككرزتين ناضجتين .. فمها الذي كان يثير غرائزه، ينادي شفتيه هو. كان محتاجا جدا لأن يقبلها .. لكن .. شفتيها ..

إنهما طريتان نديتان، حتى إنه ليخشى أن يخدشهما لو لامسهما بشفتيه. قاوم .. وقاوم .. وقاوم، لكن رغبته تفوقت عليه .. وانحنى ببطء يطبع قبلة حانية عليهما.

ولم تعترض هي.

هو يعرف أنها لن تعترض.

شعر بتيار كهربي يسري في جسده، وقشعريرة لذيذة تجتاحه من قمة رأسه، إلى أخمص قدميه.

يا الله !

أهكذا يكون الحب ؟الكون كله لا يساوي شيئا أمام هذه اللحظة. السعادة .. هذا ما يحصل له الآن. أحس بنفسه خفيفا.. مرفوعا لما فوق السحاب. أبعد شفتيه عن شفتيها وهو يرتجف. إنه يحبها. الآن فقط أدرك أنه لا توجد حقيقة في هذا الكون غير أنه يحبها، يعشقها، يهيم بها، يعــ .. يعبدها. أزاح خصلة من شعرها الكستنائي الطويل انسدلت على كتفيها. كان شعرها مبللا عند الأطراف، لكن هذا لا يهم. شعرها كان أول ما لفت انتباهه إليها، كان الشباك التي أوقعته في غرامها اللذيذ.

" لن أتخلى عنك بعد اليوم ".

همس في أذنها برقة، وهو يلف شعرها بيديه الغليظتين. وضع رأسها في حقيبته الرياضية، وقد لطخت الدماء التي ما زالت تسيل منه وتقطر من شعرها المبلل محتوياتها، وأغلق الحقيبة بعد أن مسح يديه بخرقة وتخلص من السكين. ثم غادر الشقة حاملا رأس حبيبته.

و لم تعترض هي.

هو يعرف أنها لن تعترض.

٤

(تحرر)

ترينها أمامك مهشمة العظام على الأرض. بركة واسعة من الدماء المتخثرة تحت رأسها، الذي تفجر المخ أبيض من جانب منه، بين خصلات شعر أشقر، لطخته الدماء الحمراء، فأعطتــه لونا إضافيا.

على الأرض كانت، مهشمة العظام، والصورة تبعد .. شيئا فشيئا.

تحطمت ركبتها اليمنى، ففقدت الساق اتجاهها الطبيعــي، واتخذ ذراعاها وضعين غريبين.

أنت من رماها من فوق .. من هناك .. من الطابق العاشر.

كانت بمنامتها الحريرية البيضاء على وشك الاســتغراق في نوم عميق، حين أبيت إلا أن تغرقيها في نوم أشــد عمقــا .. للأبدية .. لا تهم الأسباب .. فالموت واحد.

هل تعذبت ؟؟

باستثناء الصرخة الرنانة التي فجرتها حنجرتها، وهي تهــوي من عل، فموتها كان سريعا .. عنيفا .. مفاجئا .. مـــــــ .. مريحا.

لماذا تظنين ذلك ؟؟

لأنك تحررت أخيرا من جسدها، وها أنـــت تــرتفعين إلى أعلى، تتألقين بنور باهت كما يحق للأشباح أن تتألق.

٥

(المنعطف)

كانوا ثلاثة ، (أحمد) سائق التاكسي، وراكبين. وكانت السماء تمطر بغزارة في ذلك اليوم، وتجعل القيادة على الطريق الجبلية خطرا. لكن (أحمد) كان - أو هكذا يظن - سائقا ماهرا، ولم يخفف سرعته كما كان حريا به أن يفعل.

كانوا ثلاثة، وقد خلق جو السفر بينهم حميمية فتبادلوا النكات والأخبار والطرائف، وناقشوا أمورا سياسية ونسائية. حتى صرخ أحد الراكبين فجأة :

- انظرا هناك ..

امرأة في نحو الأربعين تقف رافعة يدها على جانب الطريق، معطف مطر أبيض ومنديل على الرأس أغرقتهما المياه. توقف (حسن) بالسيارة وأقل المرأة التي ركبت في المقعد الخلفي دون أن تنبس ببنت شفة.

ساد الصمت في العربة، وعشرات الأفكار والأسئلة تدور في مخيلات الرجال الثلاثة. ما الذي تفعله سيدة محترمة في مكان مقفر كهذا بعيدا عن أي عمران ؟ ومنذ متى وهي مبتلة تحت المطر؟ كانت قد أشاعت جوا من البرودة في السيارة، حتى أن

(حسن) لعن حظه العاثر متأسفا على مقعد السيارة الذي أفسدته المياه حتما.

"أنا الأحمق الذي سمح لها بالركوب، فكر (حسن) للحظة، لماذا لم أتركها تتجمد في الخارج؟ إنها حتى لم تقل كلمة شكر واحدة" .

كان الخجل والحياء يلجمان ألسنة الرجال، إضافة إلى أن ملامح السيدة تشي بأنها كانت وما تزال فاتنة جدا. وقد منع التطلع في المرآة (حسن) من التركيز في القيادة. "خسارة" همس لنفسه وهو يمط شفتيه، لو لم يكن معه هذان الثرثاران، لحظي برفقة طيبة وصور له خياله المريض صورا شائنة معها.

بعد أن قطعت السيارة كيلومترا تقريبا، صرخت السيدة فجأة : - احذر .. المنعطف ..

رفع (حسن) رجله فجأة تلبية للتحذير، واجتاز المنعطف بسلام. الدهشة تغمره. كان سيهوي في المنحدر لولا صراخ السيدة. وقبل أن يلتفت ليشكرها ، جاء دور الراكب الخلفي ليصرخ.

كانت السيارة تسير بسرعة ٩٠ كيلو مترا بالساعة، والأبواب مقفلة.

وكانت السيدة الغامضة ..

قد اختفت.

٦

(ITC)

لم تعرف السيدة (كوثر) كيف تمكنت من تصديق ذلك ؟ لكن حفيدها تمكن من إقناعها فعلا. عجيبة هـــي اهتمامـــات شباب هذه الأيام ومعارفهم الهائلة والرهيبة. لو لم تكن هـــي نفسها مدرسة قديمة وعلى علم، لظنت أن حفيدها (تامر) من أولياء الله الصالحين.

والسبب : أنه جعلها تتمكن من الاتصال مع زوجهـــا — جده ــ رحمه الله؟

لا يمكنها أن تخطئ صوته على شريط التسجيل، لا يمكنـــها أن تفشل في التعرف بصورته ولو كانت ضبابية مشوشة وعلى شاشة التلفاز البيضاء كما عند انقطاع الإرسال.

ITC : instrumental transcommunication

كما سماها (تامر)، نوع من الاتصال الروحي عبر وســائط الاتصال الحديثة. لقد جلب لإقناعها أبحاثــا اســتقاها عــبر الإنترنت : ذلك العالم الساحر الذي لم تستطع استيعابه قــط. وأسمعها شرائط وأراها أفلاما لمن يفترض أنهم مــوتى اتــصلوا بأقاربهم الأحياء.

لكنها لم تقتنع بتلك السهولة، ليس قبــل أن يــسجل أول شريط بصوت زوجها الراحل. ظنت الأمر بادئا خدعــة مــن

حفيدها الشقي غريب الأطوار، لكنها لم تكن لتخطئ صوت رفيق عمرها لتلك الدرجة، وكلماته، كيف لا يكون هو؟. ثم جاء (تامر) بالدليل القاطع : شريط فيديو سجله لزوجها وهو يظهر على شاشة بيضاء.

لم تصدق، دمعت عيناها، ودق قلبها كما كان يدق لأول مرة بحبه. كانت الإثارة قد جعلتها تفقد وعيها، وقد نصحها الطبيب بالهدوء والراحة رحمة بقلبها المريض. وجه (تامر) المرعوب وهو يناولها قرص الدواء، تراه يتأسف على غبائه، لأنه عرضها للخطر. لست غبيا يا بني، أنت عبقري.

لم تعرف السيدة (كوثر) كيف تمكنت من تصديق ذلك ؟ وهي الآن في سريرها تنتظر أن يتصل بها زوجها كما وعدها في شريط بالأمس. لقد قال بأنه لن يفارقها مرة أخرى، بأنه يريدها معه للأبد.

في اليوم التالي كان (تامر) يشرح لضابط الشرطة كيف تسبب اهتمام جدته بالظواهر الخارقة بموتها المفاجئ على سريرها. لقد حذرها من أن الاتصال بالموتى يشكل خطرا بالغا، من السهل فتح أبواب العالم الآخر لكن غلقها هو المشكلة. قد تتسرب أرواح شريرة تنتحل صفة المقربين الموتى لأغراض ما.

يفغر الضابط فاه مبهوتا، ويتمنى شيئا واحدا هـو إقفـال الملف. العجوز كانت مريضة بالقلب وقد جاءتها سكتة قلبيـة أخيرة رحيمة.

يوقع (تامر) المحضر وهو يبتسم، من الطبيعي أن يشك فيـه الضابط لأنه الوريث الوحيد لثروة جدته. لقد كانت دراسته في المعهد العالي للمسرح مفيدة حقا. ولقد نجح في إقناع العجـوز البخيلة بالرحيل أخيرا. تمكن من إعداد التسجيلات وفبركـة الفيديو بمساعدة صديق له وبالاسـتعانة بـذكريات العائلـة المسجلة، كانت جريمة كاملة.

كان يبتسم في أعماقه، رغم أن ملامحه احتفظـت بتعـابير الحزن المسرحية. وقبل أن ينهض مغادرا رن هاتفه المحمول ففتح الاتصال بتلقائية وقال: ــ ألو ..

ما حدث بعد ذلك، وفق ما ذكره الضابط في الملف قبل أن يحول إلى مصحة للأمراض العقلية : هو أن صوتا رهيبا خـرج من هاتف (تامر) الذي تجمد في مكانه، وأخذ ينتفض كمـن تعرض لألف صعقة. قبل أن تسيل الدماء من أذنيه ومن عينيـه بغزارة شديدة وتغرق الأرضية.

عبد العزيز أبو الميراث

رائحة الدماء

لا يعلم كيف سلك هذا الطريق المهجور ، سيارته عتيقة الطراز تئن وهي تقطع بكل جهد الطريق الوعر ..

الساعة تقترب من الثانية عشرة مساء ، بجانبه زوجته يبدو على ملامح وجهها الرقيق القلق والخوف وهي تهتف به قائلة:

- أنت السبب يا (جهاد) !! .. أنت السبب !! أخبرتني أنك تعرف هذا الطريق المختصر وسيوفر علينا نصف ساعة ، حتى نصل إلى البيت قبل منتصف الليل ، والآن الوقت اقترب من منتصف الليل ، أرني كيف ستخرج من هذا الطريق ..

نظر إليها (جهاد) نظرة صامتة دون أن يجيبها ، مستغرقا في تفكير عميق.. صحيح أنه أخطأ عندما اختار هذا الطريق الوعر ، لكن ذلك ليس بسبب أن يختصر الطريق ، لكن هناك سبب غامض جعله يسلك هذا الطريق دون تردد ، والآن

يقترب من مترل مكون من طابقين ، شعر أنه رأى هذا المترل من قبل ، بل هو متأكد من ذلك ..

أوقف السيارة قريبا من المترل ، وزوجته تنظر إليه باستغراب وتسأله في قلق :

– لماذا توقفت هنا ؟؟!!

تطلع إليها في برود وأجابها باختصار :

– سوف أبحث في المترل عن خريطة للطرق ..

قال هذا واتجه إلى باب المترل في قلق ، وقف أمام الباب وهو يرهف سمعه جيدا ، كان كل شيء يوحي بأن المترل مهجور ، لكن على الرغم من ذلك فهو يشم رائحة غريبة مألوفة .. دفع الباب بيده ، فوجده مغلقا ، توقف لحظات يفكر في حيرة ، فجأة أخرج سلسلة مفاتيحه وجرب مفتاحا تلو الآخر ، حتى استجاب أحد المفاتيح ، وفتح الباب ..

شعر (جهاد) بقلق واستغراب ، كيف يمتلك مفتاحا لهذا المترل ، هل تكون مجرد مصادفة .. ربما ..

دخل المترل ببطء ، وفجأة أغلق الباب خلفه بقوة ، أسرع نحو الباب ، ولكنه لم يستطع أن يفتحه .. أصابه الذعر وهو يدور حوله محاولا أن ينظر جيدا في أنحاء المترل ..

كان المكان مظلما إلا من بصيص نور القمر الذي بدد بعض الظلمة ..

هل هو خائف ؟.. قليلا .. من المفترض أن يشعر أي شخص في مثل موقعه بخوف كبير ، لكنه على الرغم من هذا شعر بنشوة غريبة لا يدري لماذا يشعر بها ؟..

شم الرائحة الغريبة مرة أخرى ، وهذه المرة استطاع معرفتها.. إنها رائحة دماء طازجة ، ولكن كيف ؟.. كيف يشم هذه الرائحة ، ولماذا؟؟

فجأة علا صوت غريب في أنحاء المكان .. أرهف سمعه جيدا ، ومن دهشته استطاع تمييز مصدر الصوت بدقة ، كان آتيا من جهة الشمال ..

أسرع باتجاه الشمال ، قاطعا حجرة الضيافة ، وتوقف ، قليلا أمام باب خشبي ، فتح الباب ، ونظر إلى الدرج الذي يمتد إلى أسفل ، وإلى الباب المعدني في نهاية الدرج ، ومن تحت فرجته الرفيعة ، يتسرب بعض الضوء ..

الحيرة والقلق امتزجا في عقله وقلبه ، ما الذي يحدث ؟.. لماذا هناك ضوء في القبو ، على الرغم من أنه جرب مفاتيح الكهرباء في المترل ، وكلها لم تستجب ، ولماذا يشعر أنه مرّ بهذا الموقف من قبل مرة أو ربما عدة مرات .. هل هناك أحد في القبو ، ولماذا لم يخرج وما الذي يريده بالضبط ؟!! هل يدخل القبو !!

تلفت حوله وهو يبحث عن شيء ما .. إنها عصا غليظة .. قبض عليها بكلتا يديه ، وقطع الدرجات القليلة حتى وصل باب القبو .. هل يفتح الباب ؟.. ويدخل .. تردد قليلا ثم حسم أمره ومدّ يده نحو مقبض الباب ببطء وفتح الباب مصدرًا صريرًا مزعجًا ، شعر أنه لو كان هناك أحد في داخل القبو لتنبه إليه ..

غمره الضوء فأغمض عينيه وبعد ثوان فتح عينيه ، وكان ما رآه غريبا إلى أقصى حد ..

***

شعرت بالقلق على زوجها ، لماذا تأخر ؟.. وكيف دخل المترل ؟.. هي متأكدة أنه أخرج سلسلة مفاتيحه .. مستحيل لا يمكن أن يكون معه مفتاح الباب ، ربما كان الباب مفتوحا من قبل ..

فكرت قليلا وهي تسترجع ذكرياتها .. لقد تعرفت به قبل خمس سنوات في المستشفى ، كانت ممرضته التي رافقته في رحلة علاجه .. الأطباء أخبروها أنه أصيب بفقدان ذاكرة مؤقت قد يسترجعها في أي وقت .. لهذا شعرت بالشفقة عليه ، ومع مرور شهر اكتشفت أنها تحبه ، وهو أيضا صارحها بذلك ، وتزوجا ، ومرت ثلاث سنوات من الزواج في سعادة ، على الرغم من أنها لم تنجب إلا أنه لم يشر إلى ذلك قط ،

لكنها كانت تشدر به ، كثيرا مـــا يجلـــس وحيـــدا ويفكـــر بالساعات انطوال ، وهناك الكوابيس التي باتت تزوره كـــثيرا كل ليلة ، وعندما سألته عنها ، أخبرها أنه يشاهد الـــدماء في مكان ..

في بعض الأحيان تشعر بالخوف من زوجها ، عندما ينظـــر إليها نظرة غريبة لم تعهدها ؟..

وهذه الليلة زاد الأمر عن حده كانا عائدين مـــن حفلـــة لصديقتها ، لكنه ما إن رأى الطريق المهجور حـــتى قـــرر أن يسلكه بحجة أن يختصر المسافة ، لم تقتنع بإجابته قط ..

والآن هي وحيدة في هذه السيارة بانتظار خروج زوجهـــا من المنزل ، هل تلحق به أم تنتظره ، ما زالت في حيرة في اتخاذ القرار .

***

هل ما يراه حقيقي ؟.. إنّ هذا أقرب إلى كوابيسه التي يراها كل ليلة ..

سلاسل معدنية معلقة من سقف القبو معدة خصيصا لتقييد البشر بإحكام ، وهناك دماء جافة على الجدران ، لكـــن مـــا جذب انتباهه دماء طازجة في وعاء على طاولة صغيرة ، مـــن الذي وضع هذه الدماء ولماذا ؟.. اقترب من الوعاء وشعر فجأة بشعور غريب ، راودته فكرة أن يشرب هذه الـــدماء ، لكنـــه

طرد هذه الفكرة من رأسه بسرعة .. فجأة سمع صوت مألوف يقول بسخرية :

– كنت متأكدا أنك ستأتي في يوم من الأيام إلى هنـــا يـــا (جهاد) !!

تلفت (جهاد) حوله في دهشة ، وهو يتساءل :

– من أنت ؟.. وماذا تريد ؟..

عاد الصوت يقول بنفس السخرية :

– هذا محزن يا (جهاد) .. بهذه السرعة نـــسيتني ! هـــل نسيت (عامر) ؟.. صديقك الحميم !!

تساءل في استغراب :

– من (عامر) !! وكيف تعرفني !! وأين أنت بالضبط ؟!!

فجأة ظهر رجل غريب المنظر طويل القامة يقف بالقرب من باب القبو ينظر نحو (جهاد) نظرات شرسة قائلا :

– والآن هل تتذكرني ؟.

هذا الوجه ليس غريبا عليه .. إنه متأكد أنه رآه من قبـــل ، ولكن منذ فقدانه لذاكرته لم يتذكر الكـــثير مـــن الأحـــداث السابقة ..

قال (جهاد) بسرعة :

- أنا لا أتذكرك .. والآن ماذا تريد بالضبط !!

نظر الرجل إليه في حقد دفين ، ثم اتجه إلى وعـــاء الـــدماء الطازجة ، ومد يديه ، وشرب قليلا من الدماء ، وهو يقـــول باستمتاع :

- هذا مؤسف يا (جهاد) .. لقـــد كنـــا مـــن أبـــرع الصيادين!!

شعر (جهاد) بالذهول عندما رأى (عامر) يشرب من الدماء الطازجة بهذا الاستمتاع ، وتساءل باستغراب :

- صيادون .. أنا وأنت .. وماذا كنا نصطاد بالضبط ؟!!

ضحك (عامر) بشراسة ، وهو يقترب من (جهاد) بسرعة ويقول :

- نصطاد البشر يا (جهاد) .. لابد أنـــك بالفعـــل فاقـــد الذاكرة كما وصلني .. ولكن ستعاقب الآن على ما فعلته بي..

تراجع (جهاد) في قلق إلى الخلف ، وهو يتساءل:

- ما الذي فعلته بالضبط لك ؟..

أسرع (عامر) يحيط عنق (جهاد) بقبضته ويـــضغط عليـــه بشدة وهو يقول :

- لقد حاولت قتلي لأنني رفضت أن أتناول الدواء الـــذي خلصك من لعنة مصاصي الدماء ، واعتقدت أنك نجحت لهذا رحلت عن هذا المترل دون أن تتأكد أنك قضيت عليّ ..

شعر (جهاد) بالاختناق ، وأصـــبحت الـــصورة أمامـــه ضبابية، وهو يسمع صوت (عامر) يقول في حقد :

- سوف يكون انتقامي بشعا ..

كان هذا آخر ما سمعه قبل أن يسقط فاقد الوعي ..

شعر أنها مجرد لحظات ما بين سقوطه فاقد الوعي ، وما بين استعادته للوعي بشكل متدرج ، كان مقيدا إلى سلسلة معدنية من معصميه بإحكام ، معلقا في الهواء من السقف ..

سمع صوت (عامر) يقول من ورائه :

- لقد وعدتك أن يكون انتقامي بشعا ، والآن انظر خلفك لترى المفاجأة التي أعددتها لك ..

شعر بالقلق من نبرة صوت (عامر) فأدار وجهه إلى الخلف ليفاجأ بزوجته (هناء) معلقة من السقف في سلسلة معدنيـــة ، والدماء تترف من رقبتها .. مستحيل هل قتلها ؟..

راقبه (عامر) لحظات ، ثم قال في برود :

- بعد ثلاث دقائق سوف تستيقظ زوجتك ، ولكنها لن تكون كما كانت من قبل ..

سأله (جهاد) في رعب :

- ما الذي تعنيه بالضبط ؟..

قال (عامر) في شراسة :

- سوف تصبح مصاصة دماء .. سوف أجعلها هي التي تقتلك ، وبهذا أحقق انتقامي .. وأعتقد أننا لن ننتظر كثيرا فيبدو أنّ شهية زوجتك مفتوحة للقتل ، وأنت أول شخص سوف تبدأ بك ..

ما هذا الكابوس الذي يعيشه ؟.. زوجته المحبوبة تتحول مصاصة دماء ، شعر بغضب كبير يجتاحه من الداخل وعقله يكاد يحترق من شدة الغضب هو يقول :

- أيها الحقير .. سوف أقتلك .. سوف أقتلك ..

علت قهقه (عامر) ثم قال :

- رائع .. هذا رائع .. اغضب .. أرني المزيد من الغضب.. قال هذا وذهب نحو (هناء) وقام بفك قيدها بهدوء وهو يهمس لها مشيرا نحو (جهاد) :

- هذا طعامك لهذه الليلة .. هيا انقضي عليه ..

رأى (جهاد) زوجته تقترب منه ببطء ، شعر بالغضب في داخله يزداد أكثر وأكثر ، وهو يحرك يديه محاولاً تحرير نفسه ، في هذه اللحظة اقتربت منه زوجته ثم لطمته لطمة قوية جــدا ارتد إلى الخلف بقسوة ، شعر أنّ يديه تكادان أن تتمزقــان ، لكنه شعر أن السلسلة خف ضغطها عن ذي قبل ، هل يستطيع أن يحرر يديه قبل هجوم زوجته التالي؟ ..

كانت (هناء) تستعد الآن لنشب مخالبها في صدر (جهاد) استعداد للقضاء عليه ، لكنها تفاجأت أن (جهاد) حرر يديــه ليمسك يدها بقبضته ، ثم يسرع نحو باب القبو ويفتحه ويجري إلى أعلى الدرجات ، كل هذا و (عامر) لم يتحرك من مكانــه وهو يقول في حقد :

- الجبان ترك زوجته وهرب ، لكن لن يستطيع الهرب من المترل ، فالباب الخارجي محكم الإغلاق ..

أشار إلى (هناء) قائلا :

- هيا لنلحق بصيدنا ..

***

صعد (جهاد) الدرج بسرعة ، واتجــه إلى الــصالة ثم إلى الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الثاني .. الآن هو يتــذكر كـــل

شيء .. لا يعرف كيف رجعت له ذاكرتــه ، هــل مـــشهد زوجته والدماء تنزف منها ، أم الغضب الذي شعر به لوقوعــه في هذا المأزق ، المهم أنه الآن يعرف ماذا سيفعل بالضبط ؟؟..

اتجه بسرعة إلى غرفة المكتب في الطابق الثاني ، وأغلق الباب خلفه بإحكام ،ثم توقف لحظة ، وهو يتطلع إلى رفوف الكتب .. جلب بسرعة كرسيا ، ووضعه بجانـــب الـــرف الأخـــير ، وصعد عليه ، ثم مدّ يده إلى أعلى الرف ليمـــسك بـــصندوق متوسط الحجم ، التقطه بسرعة ، ثم فتحه ، كان يحوي قارورة بها سائل وردي اللون ومسدسا ذا شكل غريب ، ورصاصـــة لونها مائل للاصفرار ..

التقط المسدس ، ثم صوبه باتجاه باب المكتب مـــع صـــوت الخطوات التي تقترب منه ..

فجأة فتح الباب ليطل منه زوجته وخلفها (عامر) الـــذي نظر إلى المسدس في دهشة ..

قال (جهاد) وهو يصوب مسدسه إلى جبهة (عامر) :

– من سوء حظك أنني تـــذكرت كـــل شـــيء ، وهـــذه الرصاصة ليست عادية ، في المرة الـــسابقة ، أطلقتـــها علـــى صدرك، لهذا اعتقدت أنك مت ، وعند خروجي مـــن المـــترل

صدمتني سيارة ، لهذا فقدت الوعي ، أما زوجتي فأعرف كيف أتصرف معها .. والآن اذهب إلى الجحيم ..

أطلق (جهاد) رصاصته قبل أن يتخذ (عامر) أية حركـــة ، لتصيبه في جبهته وتقتله على الفور ..

نظر (جهاد) إلى زوجته التي تسمرت فجأة في مكانها وهي تنظر إليه في حيرة ، فأسرع إليها ، وفتح القارورة ووضعها في فم زوجته التي لم تقاوم هذا ، وبعد عدة لحظات صـــرخت (هناء) بصوت عال وهي تئن من شدة الألم ، فقال (جهاد) وهو يحملها على كتفه مغادرا باب المترل الخارجي الــــذي وجـــده مفتوحا :

- الحمد لله أنني احتفظت بهذه القارورة والمسدس هنـــا ، وإلا لما استطعت التصرف ..

وضع زوجته داخل السيارة ، وهو يراها تستعيد توازنهـــا ، ثم تتساءل في حيرة :

- ماذا حدث يا (جهاد) ؟..

ابتسم لها في ارتياح ، وهو يقول في هدوء :

- سوف نعود الآن إلى البيت .. اطمئني ..

***

مدحت علي شراب

الساحرة

للمرة العاشرة يسمع تلك الطرقات اللحوحة على بابه اليوم؛ إنه عيد الهولوين، وهؤلاء الأطفال الأغبياء لا يكفون عن مضايقته.."خدعة أم حلوى؟"..وقد منحهم كل الحلوى التي يملكها تقريبا...ومازال المزيد منهم يتدفقون على بابه..وهو لم يعتد على هذا اللون من الضوضاء؛ إنه يحب أن يكون وحيدا خاصة في الأعياد..يجلس ليستعيد ذكريات شبابه وطفولته الجميلة خاصة في أعياد الهولويين؛ كان جده يقص عليه قصصا مرعبة عن تاريخ العائلة في محاربة الساحرات.. وقد اشترك جده الكبير في محكمة ساحرات سالم، وكم تمنى لو أنه شهد هذه الأيام، وحقق أمجادا عظيمة مثل جده الكبير..لكن هذه الأيام ولت و لم يعد هناك ساحرات أو محاكمات..و لم يبق من أعياد الهولويين سوى هذا الهراء..وللمرة العشرين يسمع هذه الطرقات اللحوحة، فيقوم من مكانه متكاسلا، وهو ينوي أن

يصرف هذا الطفل اللحوح؛ خاصة وقد نفدت الحلوى لديه..وفتح الباب ليرى أمامه فتاة ذات ملامح شرقية واضحة..شعرها الأسود الطويل، وشفتيها المصبوغتين بالأسود قد منحاها مظهرا مرعبا..ودخلت تتهادى في خطوات بطيئة..وذيل فستانها الأسود يصدر حفيفا غامضا؛ فبدت كما لو أنها أفعى تتسلل إلى جحرها، ووقف هو ينظر إليها مندهشا..جلست هي أمامه وفي عينيها نظرة اختلط فيها الكبرياء بالغرور..وقالت في صوت بدا قادما من أعماق سحيقة:

"مرحبا..أيها الغريب.."

"أهلا سيدتي..هل من خدمة أقدمها إليك..؟"

"نعم..ربما..لكن ليس الآن.."

"هل يمكنني أن أعرف من أنتِ سيدتي؟"

"اسمي هو زنوبيا"

وبدا وقع الاسم غريبا على أذنيه؛ فهو ليس شائعا في أمريكا:

"اسمك هو آدم وليم..أليس كذلك؟"

رد مندهشا:

"بلى يا سيدتي..ولكن كيف عرفت؟"

نظرت إليه، وعلى وجهها نظرة غريبة:

"لأنك من أقصد ومن أريد..واليوم هو انتقامي.."

بدأت أوصاله ترتجف، وبالرغم من أن هذه الكلمات بدت مسرحية أكثر من اللازم..لكن الطريقة التي نطقتها بها جعلته يشعر بالخوف..وخاطبها مترددا:

"سيدتي..إن كانت هذه دعابة فأرجو أن تغادري الآن..فلست في حالة تسمح لي بالمزاح.."

"وهل أبدو لك ممن يمزحن؟..وستعرف حالا أنني قصدت ما قلته لك.."

"ماذا تريدين مني؟"

"الانتقام لأخواتي..لقد كنت واحدة من ساحرات سالم الذين حكم عليهم جدك بالإعدام، واستطعت الفرار..لكن باقي أخواتي سقطن في قبضة جدك ومن معه..وشاهدت بعيني مصرعهن محترقات..ولقد أقسمت يومها على الانتقام.."

قاطعها صارخا:

"ولكن كيف؟..لا يمكن أن تظلي حية كل هذه السنوات.."

نظرت إليه بسخرية:

"هذا صحيح..لكنني عندما شعرت بدنو أجلـــي..صـــنعت لنفسي تعويذة سحرية تمكنني من العودة إلى الحياة..أو يمكنـــك القول عودة شبحي للانتقام..بعد مئات الأعـــوام مـــن قتلـــة أخواتي..وها هي السنوات مرت..وحان الوقت.."

تراجع خائفا:

"ولكن ما ذنبي أنا؟.. أنا لم أفعل شيئا.."

"استعد لتدفع الثمن.."

وبدأت تقترب منه، ورأى أظفارها الطويلـــة تـــدنو مـــن رقبته..وهنا تذكر أجداده وتاريخهم الطويل..لا ..لا يمكـــن أن يكون أقل بطولة من جده..سيفعلها..وأســـرع إلى دولابـــه، وأخرج منه خنجر جده،واتجه إليها..لكنها عندما رأته يقتـــرب منها وهو يحمل الخنجر؛ تراجعت إلى الخلف..وفجأة تغـــيرت نبرة صوتها إلى نبرة فتاة عادية:

- "سيدي أنا آسفة..لقد كانت مجرد دعابة كمـــا قلـــت أنت.."

- "حقا..أتعتقدين أنني سأصدقك؟"

- "سيدي..أنا ولاء ابنة جارك أسعد..وأنا في معهد التمثيل..وما قدمته لك مجرد جزء من مسرحية.."

- "هل تظنين أنني غبي حتى أصدق هذا الهراء؟"

- "إنني أقول الحقيقة..أرجوك ارحمني..إنها دعابة؛ كنت أريد فقط مضايقتك لأنك بدوت لي رجلا غير ودود إطلاقا لكنني الآن أعتذر بشدة.."

وتحرك هو نحوها..وشعر بأن أرواح أجداده قد تلبسته..وأمسكها من ذراعها، وأحكم قبضته حول رقبتها، وغرس الخنجر في صدرها..وتفجرت الدماء غزيرة..وجلس وهو يلهث..لقد فعلها..لقد استحق أن يكون حفيد أجداده العظام..لقد تخلص منها..وعليه الآن أن يحرق جثتها حتى لا تعود..سيضعها في الفرن الجديد الذي اشتراه..مرحى هذا هو العيد الحقيقي..لقد خلص العالم من واحدة من أخطر وأشرس الساحرات..وأسرع ينهي ما بدأه..وعندما أتى الليل سمع طرقات على الباب..فأسرع ليفتحه فوجد على الباب رجلا؛ له عينين سوداوين، وشعرا أشيب..ويبدو على وجهه اللهفة:

"معذرة سيدي..أنا جارك أسعد..أعرف أنك لا تعرفني لكن ابنتي ولاء متغيبة من الصباح..ألم ترها يا سيدي؟"

رانيا محمد حسن سليم



وحوش مدينتنا



في مدينتنا نحن دوما خائفون..مذعورون..

في مدينتنا لا نستطيع الخروج من بيوتنا في الصباح..

في مدينتنا نحن دوما ننتظر رحيلهم..

في مدينتنا تأتي لنا الوحوش صباحا..!

تأتي لنا تلك الوحوش الشنيعة، ولا نقول إنها شنيعة إلا لأننا نعرف ماذا تفعل..

كل صباح..

لا يجرؤ أحد على مغادرة بيته، نظل فيها ونراقبهم عن كثب..

في مدينتنا الرعب مستمر، يكاد يكون بلا نهاية..

يُحكى أنهم هدموا من قبل بيت واحد منا، وأخذوه رغما عنه بلا شفقة..

تثير بعض الحكايات عنهم رعبنا فقط، بينما البقية تثير هلعنا التام..!

أصبح الخوف هو الأساس.. هو المنطق.. هو المعقول..

في مدينتنا لا أحد يخرج من بيته إلا ليلا؛ لأنهم لا يأتون ليلا..

في مدينتنا، نشعر بالهدوء والسكينة ليلا، بينما الترقب والفزع المحبوس صباحا ..

تسألنا ..

ولِمَ لا نهجر مدينتنا..؟

كلا.. لقد فات الأوان، ولن توجد أبدا فرصة للرحيل..

يأتي الصباح، ويأتون هم معه.. يصدرون ذلك النواح الغريب..

بعضهم يقف محملقا في أحد البيوت..

بعضهم يضع شيئا ما أمام بعض البيوت..

نرجوا أن يذهبوا يوما ما..

أحيانا ينضم بعضهم إلينا.. ولا نلبث أن نجده ينتمي إلينا.. ويصبح واحدا منا..

في الليل..

الليل يأتي بظلامه الذي يغطي كل شيء، ولا توجد مصابيح ضوء في مدينتنا..

في الليل..

نخرج نحن الأشباح لنلعب في مدينتنا..

المقبرة!

إسماعيل خالد وهدان

الفهرس

